


٦٦٩
القاضي عياض
١٢٩٠

الشفا
١
للقاضي عياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذى ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شئ رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم رأفة

المتفرد سمعه

وهما سمعه

واشدهم بهم سمعه

ورحما

ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فامن به وعزره ووقره ونصره من جعل الله له فى مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى اله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبى وقلبك بانوار اليقين ولطف لى ولك بما لطف لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته واثار قدرته بما ملاء قلوبهم حبرة وولّه عقولهم فى عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا فى الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة كماله يتنعمون وبين اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق

قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت
على السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله
عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف
واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل
قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من
مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك
حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا
وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام
في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف
عن غوامض ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبي ويضاف
اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول و
الرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة
العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر
بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم
ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد

على توفيق من الله وتأييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا
السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره
الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع
قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي
هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد
الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا
الحسين بن محمد ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد
المؤمن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن
الاشعث ثنا موسى بن اسمعيل ثنا حماد ثنا علي
بن الحكم عن عطا عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار
يوم القيمة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه

الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلسنها على
استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال
بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت
تشتغل عن كل فرض ونقل وترد بعد حسن التقويم
الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل
شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس
ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه
بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده
وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا
وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا
وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى
زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت
تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتخبت
حصره وتحصيله ترجمه بالشفاء بتعريف حقوق
المصطفى وحصرة الكلام فيه في اربعة اقسام

القسم

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولا
وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب
الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره
لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى
له المحاسن خلقا وخُلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في
الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب
الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون
فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه
عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب
الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني

في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب
الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة
فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض
عليه وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل
في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية
ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات
والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو
الحاكم على ما بعده من غرض هذا التاليف وعد وعند
التقضي لموعدته والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو
اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ انواره
جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين
الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث
به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا

الباب

الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه
من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم
الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه
او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين
الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص
من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه
عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة
لهذه المسئلة ووصلة للبابين الذين قبله في حكم
من سب الله تعالى ورسله وملئكته وكتبه وآل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه واختصرنا
الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها
ينتجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب
ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم

درة خطيرة تنزيح كل لبس وتوضح كل تخمين
وحدس وتشفى صدور قوم مؤمنين وتصدع
بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه
استعين

القسم الاول في تعظيم العلى الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا

قال الفقيه القاضي الامام
ابو الفضل رحمه الله ورضى عنه لا خفاء على من مارس
شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله
تعالى قدر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وخصوصه
اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط بزمام
وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقدام
فمنها ما صرح به تبارك وتعالى في كتابه ونبه به على جليل
نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد
على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي
تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثاب
عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدأ وعودا والحمد لله

اولى

اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات
البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين
من جاء من بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ثنا القاضي الشهيد ابو على الحسين بن
محمد الحافظ وابو الفضل احمد بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادى قال ثنا
ابو على السنجى ثنا محمد بن احمد بن محبوب ثنا ابو عيسى بن سورة
الحافظ ثنا اسحق بن منصور ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم اُتِىَ بالبراق ليلة اسرى مُلجَماً مُسرَجاً
فاستصعب عليه فقال له جبريل بمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على
الله منه قال فارفض عرقا

الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره
عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل
ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها
على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجئ المدح والثناء وتعداد المحاسن
كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندى وقرء
بعضهم من انفسكم بفتح السين وقرء الجمهور بالضم قال القاضي الامام
ابو الفضل وفقه الله تعالى اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل
مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا
الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون
مكانته ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة
لهم لكونه منهم وانهم لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره
معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم
وافضلهم على قراءة الفتح وهذا نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف
حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم
ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم
واخرتهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم
اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى

قوله

قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية وروى عن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس
في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى
الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان
عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن
محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون
الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة
البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل
طاعته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله قال الله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا
بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق
فمن اصابه شئ من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل

فبهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين فكانت حيوته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم
حياتى خير لكم ومماتى خير لكم كما قال الله تعالى اذا اراد الله رحمة بامة
قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندى رحمة للعالمين
يعنى الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة بالمنافق
بالامان من القتل ورحمة للكفر بتأخر العذاب قال ابن عباس رضى الله عنهما
هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم
المكذبة وحكى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
هل اصابك من هذه الرحمة قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء
الله عز وجل على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين
وروى عن جعفر بن محمد الصادق فى قوله تعالى فسلام لك من اصحاب
اليمين اى بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامتهم محمد صلى
الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات والارض الاية
قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثانى هنا محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله مثل نوره اى نور محمد صلى الله عليه وسلم

وقال

وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادى اهل السموات والارض
ثم قال مثل نوره محمد اذا كان مستودعا فى الاصلاب
كمشكوة صفتها او اراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة
صدره اى كانه كوكب درى لما فيه من الايمان والحكمة يوقد
من شجرة مباركة اى من نور ابراهيم عليه السلام وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضىء اى يكاد نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم تتبين للناس قبل كلامه كهذا
الزيت وقد قيل فى هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه
الله تعالى فى القرأن فى غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال
الله تعالى قد جاء من الله نور وكتاب مبين وقد قال الله تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر
هنا القلب قال ابن عباس رضى الله عنهما شرحه بالاسلام
وقد سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاء حكما وعلما

وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس
ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك قيل ما سلف من
ذنبك يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى
والسلمى وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك
حكاه السمرقندى ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم
بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معى يعنى قول لا اله الا الله محمد
رسول الله وقيل فى الاذان قال القاضى ابو الفضل رحمه الله هذا
تقرير من الله جعل اسمه لنبيه عليه السلام على عظيم نعمه لديه
وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان
والهداية ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل
امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه
بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة
والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه
وجليل رتبته ورفعته ذكره وقرانه مع اسمه قال قتادة رحمه الله

رفع الله ذكره فى الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا
صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم قال اتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول كيف رفعت
ذكرك قلت الله اعلم ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى قال
ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكرى معك وقال ايضا جعلتك
ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك
احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية واشار بعضهم فى ذلك
الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه
باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع
بينهما بواو العاطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غيره
عليه السلام ثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى الحافظ فيما
اجازنيه وقراته على الثقة عنه ثنا ابو عمر النمرى ثنا ابو محمد بن عبد
المومن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود السجزى ثنا ابو الوليد الطيالسى
ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبى

صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان
ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه
وسلم الى الادب في تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه
واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك
ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب
قال سليمن كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من
التسوية وذهب غيره الى انه ذكر له الوقوف على يعصهما وقول ابي
سليمن اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى
ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني
في قوله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي هل يصلون
راجعة الى الله والملئكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة
التشريك وخصوا الضمير بالملئكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملئكته
وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك

طاعته

وطاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين روي انه لما نزلت
هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته
بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام
الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار
اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي
وحكى مكي عنهما نحوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث
السمرقندي عن ابي العاليه في قوله تعالى صراط الذين انعمت
عليهم قال فبلغ ذلك الحسن البصري فقال صدق والله
ونصح وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى
فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد عليه السلام وقيل

السلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل فى قوله تعالى وان
تعدوا نعمت الله لا تحصوها قال نعمه بمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وقال الله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم
المتقون الاية اكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعضهم وهو الذى
صدق به قرئ صدق به بالتخفيف وقال غيرهم
الذى صدق به المومنون وقيل ابو بكر
وقيل على رضى الله عنهما وقيل غير هذا من
الاقوال وعن مجاهد فى قوله تعالى الا
بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه رضوان
الله تعالى عليهم

الفصل الثانى فى

وصفه تعالى بالشهادة وما تعلق به من
الثناء والكرامة قال
الله تعالى يا ايها النبى

يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله
تعالى له فى هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من
المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهى
من خصائصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى
به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله حدثنا ابو
القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسى حدثنا ابو
زيد المروزى حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا
البخارى حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت
اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
اجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القران يا ايها
النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين
انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن

يعفوا ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا
لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر
مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن
اسحق ولا في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده
لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر
شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة
وعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر
بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين
قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة
اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره
بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال الله تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وقد الله تعالى فبما رحمة من الله

لنت لهم

لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله منته انه جعل رسوله
رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا جوادا سهلا طلقا برا
لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في الاية الاخرى
وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على
الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية
وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية كما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة وسطا
خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم
الرسول بالصدق وقيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء هل
بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبي عليه السلام

وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم
حكاه السمرقندى وقال الله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم
صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق
هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هى
مصيبتهم بنبيهم وعن ابى سعيد الخدرى هى شفاعة نبيهم محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال
سهل بن عبد الله التسترى هى رحمة سابقة رحمة اودعها الله عز
وجل فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال محمد بن على الترمذى
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله تعالى عليه حكاه السلمى عنه الفصل
الثالث فيما ورد فى خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك
قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد قيل هذا افتتاح
كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره
بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكاه السمرقندى عن بعضهم
ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبى
صلى

صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق
قلبه لهيبته هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى
سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق
فى عذره من الكاذب وفى هذا من عظيم منزلته عند الله تعالى
ما لا يخفى على ذى لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون
معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذا الاية وحاشاه من ذلك
بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وانه لا حرج عليه فى الاذن لهم قال القاضى ابو الفضل
يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه
ان يتأدب بآداب القرآن فى قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته
فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية
وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة فى السؤال من رب الارباب
المنعم على الكل المستغنى عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد
وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون اتفقوا اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة
حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصله بضم العين من العمر
ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد
وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذا نهاية التعظيم وغاية
البر والتشريف وقال ابن عباس ما خلق الله وما برء وما ذرء
نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما سمعت
الله تعالى اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزا ما اقسم الله
بحياة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اكرم البرية
عنده وقال الله يس والقرآن الحكيم الايات اختلف المفسرون
في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روى عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها
طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه
وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا صلى الله تعالى عليه

وسلم

وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى جل جلاله وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن
الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان
يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين
ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من
اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من
التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه
وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين
بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق
لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله
تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من
تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال
عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وقال الله تعالى
لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن

فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به
وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد
بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا
البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة
والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل
بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله تعالى وهذا البلد
الامين قال امنه بمقامه فيها وكونه فيها فان كونه امان حيث
كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد آدم فهو عام ومن
قال ابراهيم وما ولد فهي اشارة ان شاء الله الى محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال الله تعالى
الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله
بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري
الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام
وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه
الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول

يحتمل

يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قرآن
اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطا في قوله تعالى ق
والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو
حاله وقيل اسم للقرآن وقيل هو اسم لله تعالى وقيل جبل محيط
بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى
انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال النجم هو قلب محمد هوى
انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطا في
قوله والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له

لتحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة
اختلف سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك
بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة
قال القاضي الامام ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله

لرسوله وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له
عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى
وهذا من اعظم درجات المبرة الثانى بيان مكانته عنده وحظوته
لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل
ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى
قال ابن اسحق اى مالك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من
كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة
وشتات الانعام فى الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه
بالفلج فى الدنيا والثواب فى الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة
وروى عن بعض ال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ليس
اية فى القرآن الحكيم ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عده الله
تعالى عليه من نعمه وقرره من الاية قبله فى بقية السورة من هدايته

الى ما هداه له

الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير و
لا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى
ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه وقيل اواه الى الله وقيل يتيما
لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا و
اغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم
من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به
ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه
السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره
واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة
الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال الله تعالى والنجم اذا
هوى الى قوله لقد رأى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون
فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها
القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب
محمد وقد قيل فى قوله والسماء والطارق وما ادريك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله تعالى

عليه وسلم حكاه التسلي تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه
العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى
وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه وحي يوحى اوصله اليه
عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته
بقصة ليلة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره
فيما رأى وانه رأى من ايات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا
تعالى في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك
الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول عبر عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا
النوع من الكلام تسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة
وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال الله تعالى لقد رأى
من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما
اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى
قال القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الايات على اعلام

الله

الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الافات في هذا
المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه بقوله ما كذب
الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله
ما زاغ البصر وما طغى وقال الله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم
انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ
ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده
مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول
الكريم هنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه
يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو
على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو
بخيل بالدعاية والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق
وقال الله تعالى ن والقلم الايات اقسم الله تعالى بما اقسم به من
عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له

وانسه وبسط امله بقوله محتسناً خطابه ما انت بنعمة ربك
بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلا درجة الاداب في المحاورة
ثم اعلمه بماله عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه
عدّ ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى
بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرف
التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام
وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله تعالى قال الواسطي
اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك
الخلق الحسن فسبحان الله اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد
الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه
سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم
عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله
ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه

فلا تطع

١٨

فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد
الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم
فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه
ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام

قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من
اسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل
وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي
اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية عن
الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى نزلت الاية فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه
من السهر والتعب وقيام الليل انبا القاضي ابو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة
ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد

الحموى قال حدثنا ابراهيم بن خزيم الشاشى قال حدثنا عبد بن
حميد قال حدثنا هاشم بن القاسم عن الربيع بن انس قال كان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع
الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طاء الارض يا محمد ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى ولاخفاء بما فى هذا كله من الاكرام وحسن
المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام كما قيل او جعلت
قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا اى قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله
ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل
عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله
ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكى سلاه تعالى بما ذكر
وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك

يحل به

يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما اخبر به
عن الامم السابقة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه
بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقى ذلك
ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اى اعرض
عنهم فما انت بملوم اى فى اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله
قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اى اصبر على اذاهم
فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا فى اى كثيرة
من هذا المعنى **الفصل السابع** فيما اخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز
من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به الى قوله
من الشاهدين قال ابو الحسن القابسى اختص الله تعالى محمدا صلى
الله تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره

فى هذه الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا
الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان
يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم
الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه لم يبعث الله نبيا من ادم
فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن
بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه
ونحوه عن السدى وقتادة فى اى تضمنت فضله من غير وجه
واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله
شهيدا روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال
فى كلام بكى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بابى انت
وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك
اخر الانبياء وذكرك فى اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابى انت وامى يا رسول الله لقد

بلغ

بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الرسولا
قال قتادة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول
الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث فلذلك وقع ذكره مقدما
هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا عليه
السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم فالمعنى اخذ
الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهور ادم كالذر وقال
الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال
اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا
صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت
له الغنايم ظهرت على يديه المعجزات فليس احد من الانبياء
اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى
خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى
كتابه فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول وحكى السمرقندى

عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة
على محمد اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه
واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام
الفصل الثامن في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته
له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا
رجال مؤمنون الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم
الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم
ودرأة العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه
بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط
المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تأويل اخر
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا

ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى
بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محمود المروزي
حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا
ابن نمير عن اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف
عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وقال النبي عليه السلام انا امان لاصحابي قيل
من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى
الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش ومادامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن
وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية ابان
الله تعالى فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته
عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة عليه والتسليم

عليه والصلوة من الملائكة استغفار ومنا له دعاء ومن الله قرة
عيني في الصلاة على هذا اي في صلاة الله علي وملائكته وامره
الامة بذلك الى يوم القيمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ
الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وذكر بعض
المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية
الله تعالى لنبيه قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته قال
ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده له قال وايدك الله
بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد
صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال
الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الاية
مولاه اي وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل
ابوبكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره الفصل
التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت

هذه الايات

هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله
تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدا جل
جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته
على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ
بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع
اي انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل
من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال
ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر عليك وقيل بفتح مكة
والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك
فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم
البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم
المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته
المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم
وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر
لذنوبهم وهلاك عدوهم في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم

من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصا بصه من شهادة
على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم
بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله
ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اى يجلونه
وقيل ينصرونه وقيل يبالغون فى تعظيمه ويوقروه اى يعظموه
وقرأه بعضهم يعززونه بزائين من العز والاكثر والاظهر ان
هذا فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ويسبحوه
فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطا جمع للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو
من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية
فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة
والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام

نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره
وعرج به الى المحل الاعلا وحفظه فى المعراج حتى ما زاغ البصر
وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنايم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره
ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التوحيد ثم قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان اى انما يبايعون
الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة
الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة
وتجنيس فى الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان
المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وان كان الاول فى باب المجاز وهذا فى باب الحقيقة لان القاتل
والرامى بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته
ومسببه ولانه ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث
وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم

حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة
اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت
وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع
اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي
بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر فيما اظهره الله في كتابه
العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى
من قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه
القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من
العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من
الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه
فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم
بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم
عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك
من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك

حسب

حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة
ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك
هو الابتر اعلمه الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة
وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل
النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال
ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير
الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال الله تعالى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني
السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني
ام القران والقران العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القران
من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم وانباء
نبأ القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى
في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمى القران مثاني لان
القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات

الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة
وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا الاية قال فهذه من خصايصه وقال الله تعالى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال صلى الله تعالى
عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى
بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم
كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع
راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له
ازواج في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته
المصحف وقال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية
قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الاول واشار الواسطي

الى انها

الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله تعالى
عليهما

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا

وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب
لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال
الجمال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة
وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب
الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يخلص لاحد الوصفين
ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه
اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال
صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه
واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه
ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخرة
بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية

فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم
والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود
والشجاعة والحياء والمروة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة
وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها حسن
الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة
لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان
يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء
الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله تعالى
والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها
فصل اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا
الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنين ان اتفقت له في كل
عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة
حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف
بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال

فما ظنك

فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه
عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص
الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة
بين الانبياء والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة
والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤل والكوثر
وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح
الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني
والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلاة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال
عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم

واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل
وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع
على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من
الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك و
مفضله به لا اله غيره الى ما اعدّ له في الدار الاخرة من منازل الكرامة
ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف
دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله
لاخفاء على القطع بالجملة انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس
قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه
صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك
وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال
الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها
محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك
بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه

في حسنها

في حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك
من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب
وعائشة ام المومنين وابن ابي هالة وابي جُحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن
خالد وخُرَيم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب
الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين
كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر
عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل
رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق
المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع
ذلك لم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله تعالى
عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق
وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رُئي كالنور يخرج من ثناياه احسن
الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم

قال البراء ما رايت من ذى لمة فى حلة حمراء احسن من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى
وجهه واذا ضحك يتلالأ فى الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له
رجل كان وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف
فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
ام معبد فى بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه
واحسنه من قريب وفى حديث ابن ابى هالة يتلالا لا نور
وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وقال على بن ابى طالب رضى
الله تعالى عنه فى اخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه
معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى
الله تعالى عليه وسلم والاحاديث فى بسط صفته مشهورة
كثيرة فلا نطوّل بسردها وقد اختصرنا فى وصفه على نكت
ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية فى القصد الى المطلوب
وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك

ان شا

ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب
ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان
قد خصه الله فى ذلك بخصائص لم توجد فى غيره ثم تممها
بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بنى الدين
على النظافة ثنا سفيان بن العاصى وغير واحد قالوا ثنا احمد
بن عمر ثنا ابو العباس الرازى ثنا ابو احمد الجلودى ثنا
ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان
عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا
شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن جابر بن سمرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده
قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار
قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه
يجد ريحها ويضع يده على راس الصبى فيعرف من بين
الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فى دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه

فسالها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقالت
نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه ذكر اسحق بن
راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله تعالى عليه
وسلم وروى الحربي عن جابر اردفني النبي صلى الله عليه
وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا
وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمايله صلى الله تعالى عليه
وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت
غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه
وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن
عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى
فقال يا عايشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء
فلا يرى منه شئ وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم

من اهل

من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن
الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر
بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع
لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه
صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب منه
وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه غسلت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت
طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم اجد مثلها
قط ومثله قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه حين قبل النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان
دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم
ذلك له وقوله لن يصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن
الزبير دم حجامته فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ويل
لك من الناس وويل للناس منك ولم ينكره عليه وقد روى

نحواً من هذا عنه فى امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكى
وجع بطنك ابدا ولم يامر واحداً منهم بغسل فمه ولا نهاه عن
عودة وحديث هذه المراة التى شربت بوله صحيح الزم الدار
قطنى مسلما والبخارى اخراجه فى الصحيح واسم هذه المرأة
بركة واختلف فى نسبها وقيل هى ام ايمن وكانت تخدم
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالت وكان لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت
سريره فيبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد
فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض الروايات قد ولد
مختونا مقطوع السرة وروى عن امه امنة انها قالت ولدته
نظيفا ما به قذر وعن عايشة رضى الله تعالى عنها ما رايت
فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط وعن على
رضى الله تعالى عنه قال اوصانى النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم لا يغسله غيرى فانه لا يرى احد عورتى الا طمست عيناه
وفى حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى
الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام وصلى ولم
يتوضأ قال عكرمة لانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم محفوظاً
فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة
لسانه واعتدال حركاته وسكناته وحسن شمائله فلا مرية انه
كان اعقل الناس واذكاهم ومن تأمل تدبيره امر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب
شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من
الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
للكتب منه لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة
وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن
منبه قرأت فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا وفى
رواية اخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع

الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى
الله تعالى عليه وسلم الا وكحبة رمل من رمال الدنيا وقال
مجاهد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام في
الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام انى
لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن
عايشة مثله قالت زيادة زاده الله اياها في حجته وفي
بعض الروايات انى لانظر من ورائى كما انظر الى من بين يدى وفي اخرى
انى لابصر من قفائى كما ابصر من بين يدى وحكى بقي بن مخلد
عن عايشة قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرى
في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله
تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له
حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنا
مسجده وقد حكى عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها
محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب

بعضهم

بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من
خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل في كتابه
حدثنا ابو الحسن المقرى الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن
ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن
سعيد قال حدثنا محمد بن احمد بن سليمان قال حدثنا محمد بن محمد بن
مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله عز
وجل لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء
مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا
الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت
الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام
وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات
كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو هريرة
ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في
مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث

وفي صفته ان ضحكه كان تبسماً اذا التفت التفت معاً واذا مشى

مشى تقلعاً كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان

وبلاغة القول فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك بالمحل

الافضل والموضع الذى لا يجهل من سلاسة طبع وبراعة منزع

وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف

اوتى جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل

امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها فى منزع بلاغتها حتى كان

كثير من اصحابه يسئلونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله

من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش

والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى

وطهفة النهدى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس

ووايل بن حجر الكندى وغيرهم من قيال حضرموت وملوك اليمن

وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون

علافها وترعون عفاها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق

والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن



والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله صلى الله تعالى

عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها

فى الدثر وافجر لهم الثمد وبارك لهم فى المال والولد من اقام الصلاة كان

مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان

مخلصا لكم يا بنى نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط فى الزكاة

ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة وكتب لهم فى الوظيفة

الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو

الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق

وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة

ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه

وفى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفى

السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما

ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة

فى فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال ابن هذا

من كتابه لانس فى الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد

وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم لهذه الالفاظ استعملها
معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون
وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية
واليد السفلى هي المُنْطَاةُ قال فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سَلْ عنك اى سل عمّا شئت
وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة
وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين
وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم
ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس
كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك
ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤٌ عرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت
فسلم وقوله اسْلِمْ تَسْلَمْ وَاَسْلِمْ يؤتك الله اجرك مرتين

وان

وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا
الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم
بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله
وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع
وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث
كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق
حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا
ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة
وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها
قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها
شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني
بها من كل سوء اللهم اني اسالك الفوز في القضاء ونزل الشهداء
وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة
من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده
مما لا خلاف فيه انه نزل من ذلك مرقبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها

سبقاً لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها
ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات
حتف انفه ولا يلدغ مؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره
في اخواتها مما يدرك الناظر بها العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في
ادنى حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك
فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين
وقد قال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له
بذلك صلى الله تعالى عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها
ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي
مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها
له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن
جهير الصوت حسن النغمة صلى الله تعالى عليه وسلم فصل
واما شرف نسبه وكرم بلده ومنبته فمما لا يحتاج الى اقامة
دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم
وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفراً من قبل

امه

الله وابيه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده
حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا
القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد حدثنا
ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب
بن عبد الرحمن عن عمرو وعن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون
بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت في القرن الذي كنت فيه وعن العباس
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من
خيرهم من خير قرن ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير
البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً
وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من
ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي

وهذا حديث صحيح وفي حديث عن بن عمر رواه الطبراني انه صلى
الله تعالى عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني
ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب
فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار
بني هاشم فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار الا من احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن
ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق
ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه
فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله
تعالى عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم و
جعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله
ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني
بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر
في شعر العباس في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
المشهود فصل واما ما تدعوا ضرورة الحياة اليه مما فصلناه



فعلى ثلاثة اضرب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في
كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال
في قلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتها وتذم بكثرتهما لان كثرة
الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة
سبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة
النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك
النفس وقمع الشهوة سبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة
الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم
الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع
العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على
هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام
الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها
وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى
الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به

وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل
هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما
بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه
حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا
سليمان بن احمد حدثنا ابو بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح
حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن
معدي كرب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال
سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض
السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وقد
روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه
ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها لم يمتل جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط وانه

كان

كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما
اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله
الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله عليه السلام ظنه صلى الله تعالى
عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان اذ رآهم لم يقدموه
اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين
لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان
يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى
يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اما انا فلا
اكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس
على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول
انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى
الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله

تعالى عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع
ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فكان نومه على
جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم فانه على الجانب الايسر اهنى
لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى
الجانب الايسر فيستدعى ذلك الاستثقال فيه والطول
واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة
ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثانى ما يتفق التمدح
بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق عليه شرعا
وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم تزل التفاخر بكثرته
عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما فى الشرع فسنة
مأثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا
اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا فانى
مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله من كان
ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره

العلماء مما يقدح فى الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبّبن الى
سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عُيَيْنَة وقد كان
زهاد الصحابة كثيرى الزوجات والسرارى كثيرى النكاح وحكى
فى ذلك عن على والحسن وابن عمر وغيرهم غير شئ وقد كره
غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته
من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان
حصورا فكيف يثنى الله عليه بالعجز عما نعده فضيلة وهذا
عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم
ان ثناء الله على يحيى بانه حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان
هيوبا اولا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد
العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء معناه
انه معصوم من الذنوب اى لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا
نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء فقد بان
لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل
فى كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام

او بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها
شاغلة فى كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هى فى حق من
اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه
درجة عليا وهى درجة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذى
لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه جل جلاله بل زاده بذلك
عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن
وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه
هو ان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الى من دنياكم
فدل ان حبه لما ذكر ذكر من النساء والطيب اللذين من امور
دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للاخرة للفوايد
التى ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب ولانه ايضا
مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه
لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقى
المختص بذاته فى مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة

عينى

عينى فى الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى فى كفاية فتنتهن وزاد
فضيلة بالقيام بهن فكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن اقدر على
القوة فى هذا واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير
ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم
انه كان يدور على نسائه فى الساعة من الليل والنهار وهن احدى
عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين رجلا خرجه
النسائى وروى نحوه عن ابى رافع وعن طاوس اعطى عليه السلام
قوة اربعين رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت
سلمى مولاته طاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة على
نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتى الاخرى
وقال هذا اطهر واطيب وروى نحوه عن ابى رافع وقد قال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة
او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان
فى ظهر سليمان ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة
سرية وحكى النقاش له سبع مائة امرأة وثلثمائة سرية

وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل
يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوجه اوريا مائة وقد
نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على
الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
واما الجاه فحمده عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في
القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس
لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في
الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب
والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية
حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره
في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويعرف

لرؤيته

لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من
الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث
ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال هون عليك
فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة
في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم
وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره واما الضرب
الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه
والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجته وتمكن اغراضه
بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه
وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء
الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل
الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد

بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان
صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد
كثرة كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد
السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة الرذالة فاذا
التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو
للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذاً اذا لم يضعه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني
بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير
واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم
يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس
في يده منه شئ والمنفق غني ملي بتحصيله فوايد المال وان لم يبق
في يده من المال شئ فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد
واحلت له الغنائم ولا لنبي قبله فتح عليه في حياته صلى الله تعالى
عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك

من الشام

من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم
فما استاثر بشئ منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه
واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا
يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير فقسمها
وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام
وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة
عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه وكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب
الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهات
في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي
من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه
وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهود
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند

الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك
التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الالة وخدمه ومركوباته
ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها وترك ذلك زهدا وتنزها
فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت
فضيلة زائدة عليها في الفخر ومعرف في المدح باضرابه عنها وزهده
في فانيها وبذلها في مظانها واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل
صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى
الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها
ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق
وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون
الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله
تبارك وتعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت
عايشة رضي الله عنها كان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن

يرضى

يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولة
عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب
ولا برياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر
الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق
ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى واسحق وسليمان
وغيرهم عليهم بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا
العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا
قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه
وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان
لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة
من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له
انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت

ام يحيى تقول لمريم انى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية
له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله
لها الا تحزنى على قراءة من قرء من تحتها وعلى قول من قال ان
المنادى عيسى ونص على كلامه فى مهده فقال انى عبد الله
اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا
اتينا حكما وعلما وقد ذكر عن حكم سليمان وهو صبى يلعب
فى قصة المرجومة وفى قصة الصبى ما اقتدى به داود ابوه
وحكى الطبرى ان عمره كان حين اوتى الملك اثنى عشر عاما وكذلك
قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون
فى قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اى هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابداء
خلقه وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا يأمره
عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم
يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلام
فى النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء

اسحق

اسحق
بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم
بالكواكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا
وقيل اوحى الى يوسف وهو صبى عند ما هم اخوته بالقائه فى
الجب يقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية
الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب
اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد باسطا يديه
الى الارض رافعا رأسه الى السماء وقال فى حديثه صلى الله تعالى
عليه وسلم لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم
اهم بشئ مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله منهما
ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق
انوار المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا الى الغاية ويبلغوا باصطفاء
الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية
دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى
اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه
الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب

تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقه لبعض الصبيان
على حسن السمت او النهامة او صدق اللسان او السماحة
وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة
والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف
هذين الحالين قد تتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له
ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذه الخلق جبلة او مكتسبة
فحكى الطبرى عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة
فى العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو
والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المومن الا الخيانة والكذب
وقال عمر بن الخطاب فى حديثه والجراة والجبن غرايز يضعها
الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة
كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شاء الله فصل اما اصل
فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذى منه

ينبعث

ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراى وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير
واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانته منه
صلى الله تعالى عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى
لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه
متحقق عند من تتبع مجارى احواله واطراد سيره وطالع جوامع
كلامه وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه
بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم
الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير
الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلم
التى اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة
كالعبارة والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك
مما سنبينه فى معجزاته ان شاء الله دون تعليم ولا مدارسة
ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبى امى

لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره
وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة
وبالبرهان القاطعة على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص
اوحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به
حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله تعالى عليه
وسلم الى ساير ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون
وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول
في تقرير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط
بذلك او ينتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع
القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم
حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس
النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة
واما العفو فهو ترك المواخذة هذا كله مما ادب الله به نبيه محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الاية

وروى

وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت هذه الاية
سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه
فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك
الاية وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال وليعفوا
وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت
منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله تعالى عليه
وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا ولا على اسراف الجاهل
الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي
وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد
القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبد الله حدثنا
يحيى بن يحيى حدثنا مالك بن شهاب عن عروة عن عايشة
قالت ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين
امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان

ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه
لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروى ان
النبى صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم
اهد قومى فانهم لا يعلمون وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه
انه قال فى بعض كلامه بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا
نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت
علينا مثلنا لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى
وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قال القاضى ابو الفضل
رضى الله تعالى عنه انظر ما فى هذا القول من جماع الفضل
ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر
والحلم اذ لم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم عن السكوت
عنهم حتى عفى ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال

اغفر

اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى ثم
اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل
فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده فى جوابه ان بين له
ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل
ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من الصحابة
قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم مستند تحت شجرة وحده قائلا والناس
قائلون فى غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الا وهو قائم والسيف بصلت فى يده فقال من يمنعك منى
فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم وقال من يمنعك منى قال كن خير اخذ فتركه وعفى عنه فجاء
الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظم خبره فى
العفو عفوه عن اليهودية التى سمته فى الشاة بعد اعترافها
فى الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره
وقد اعلم به واوحى اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا

عن معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابى واشباهه من
المنافقين بعظيم ما نقل عنهم فى جهه قولا و فعلا بل قال لمن
اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس
قال كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد غليظ
الحاشية فجبذه اعرابى بردائه جبذه شديده حتى اثرت حاشية
البرد فى صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لى على بعيرى هذين من
مال الله الذى عندك فانك لا تحمل لى من مالك ولا من مال
ابيك فسكت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال
الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابى ما فعلت بى
قال لا قال لم قال لانك لا تكافى بالسيئة السيئة فضحك
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير
شعير وعلى الاخر تمر قالت عايشة رضى الله تعالى عنها ما رايت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها
قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط
الا ان يجاهد فى سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة وجئ

اليه

اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط على
وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه
فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم
يا بنى عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له فى القول والنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله
انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرنى بحسن القضا
وتامره بحسن التقاضى ثم قال له قد بقى من اجله ثلاث
وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه
فكان سببا لاسلامه وذلك انه كان يقول ما بقى من علامات
النبوة شئ الا وقد عرفتها فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا
اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما
فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه صلى الله تعالى
عليه وسلم وصبره وعفوه عند القدرة اكثر من ان ناتى عليه
وحسبك ما ذكرناه مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة

الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى
الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم الى ان اظهره الله عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون فى استيصال شافتهم وابادة
خضرائهم فما زاد على ان عفى وصفح وقال ما تقولون انى فاعل
بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخى يوسف
لا تثريب عليكم اليوم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس
هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم
الاية وقال لابى سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه
الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه
فى القول ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم انه لا اله
الا الله فقال بابى انت وامى ما احلمك واوصلك واكرمك
وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا
واسرعهم رضا صلى الله تعالى عليه وسلم فصل واما الجود

والكرم والسخا والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق
بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما
يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود
وهو ضد التقتير فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوارى
فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه
حدثنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى رحمه الله حدثنا
القاضى ابو الوليد الباجى حدثنا ابو ذر الهروى حدثنا
ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو اسحق البلخى
قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربرى حدثنا البخارى حدثنا
محمد بن كثير انا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن
عبد الله يقول ما سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا
فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس
كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود

ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقي جبريل عليه السلام اجود
بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين
جبلين فرجع الى بلده فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا
يخشى فاقة واعطى غير واحد ماية من الابل واعطى صفوان
ماية ثم ماية ثم ماية وهذه كانت حاله صلى الله تعالى عليه
وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة انك تحمل الكل وتكسب
المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف
واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون
الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا
حتى فرغ منها وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع
علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا
تقدر عليه فكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فقال
رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش
اقلالا فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا و
اجر زغب يريد قثا فاعطاني ملء كفيه حليا وذهبا قال انس كان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده
وكرمه صلى الله تعالى عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة قال اتى
رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يساله فاستسلف له
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل
يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل

فصل واما الشجاعة والنجدة والشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت
حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة
والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل ولا يتزحزح
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه
صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا ابو علي الجياني وفيما كتب الي
حدثنا القاضي سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد

الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا ابن
بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابى اسحق سمع البراء وساله
رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر ثم قال
لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد غيره انا
ابن عبد المطلب قيل فما رئ يومئذ احد كان اشد منه وقال
غيره نزل النبى صلى الله تعالى عليه عن بغلته وذكر مسلم
عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون
مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض
بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع
وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه اذا غضب ولا يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شئ وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد
ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وقال

وقال على رضى الله تعالى عنه انا كنا اذا حمى الباس ويروى
اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتنى
يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان
الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم احسن الناس واجود الناس واشجعهم لقد فزع اهل
المدينة ليلة فانطلق قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر
على فرس لابى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا
وقال عمران بن حصين ما لقى صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة الا
كان اول من يضرب ولما راه ابى بن خلف يوم احد وهو يقول
اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندى فرس اعلفها كل يوم

فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول
حربة من الحارث بن الصمة وانتفض بها انتفاضة تطاير الشعراء
عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدادا منها عن فرسه مرارا
وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد
وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم
اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق على لقتلني فمات بسرف
في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة
تعترى وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون
تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان
بطبيعته وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس
حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله تبارك وتعالى

ان ذلكم

ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية حدثنا ابو محمد
بن عتاب رحمه الله بقراءتي حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبدان حدثنا
عبد الله انا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن
ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه
في وجهه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة رقيق
الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه
عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول
ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله
وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا
وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل
هذا ويروى ينزعها قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالاسواق
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي
مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن
عمرو بن العاص وروي عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره في
وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن
عايشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله
تعالى عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار
الصحيحة قال علي رضي الله تعالى عنه في وصفه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس
لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن
مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره قال حدثنا
ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد النحاسي حدثنا ابن الاعرابي
حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا
حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى بن كثير

يقول

يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن
قيس بن سعد قال زارنا رسول الله تعالى عليه وسلم وذكر
قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطا
عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف
فانصرفت وفي رواية اركب امامي فان صاحب الدابة اولى بمقدمها
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كل كريم
قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي
عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه جالسه او
قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن

ابی هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل
عما لا يشتهی ولا يوئس منه وقال الله تعالی فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتی
هی احسن الاية وكان يجيب من دعاه و يقبل الهدية ولو كانت كراعا
ويكافی عليها وقال انس خدمت رسول الله صلی الله تعالی عليه
وسلم عشر سنين فما قال لی اف قط وما قال لی لشیء صنعته
لم صنعته ولا لشیء تركته لم تركته وعن عايشة رضی الله عنها
ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلی الله تعالی عليه
وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال
جرير بن عبد الله ما حجبنی رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم
منذ اسلمت ولا رانی الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم فی حجره ويجيب دعوة
العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضی فی اقصی المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلی الله



تعالی عليه وسلم فينحی راسه حتی يكون الرجل هو الذی ينحی راسه
وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتی يرسلها الاخر ولم ير مقدما
ركبته بين يدی جليس له وكان يبدء من لقيه بالسلام ويبدء اصحابه
بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتی يضيق بهما علی احد يكرم
من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التی تحته
ويعزم عليه فی الجلوس عليها ان ابی ويكنی اصحابه ويدعوهم
باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع علی احد حديثه حتی يتجوز
فيقطعه بنهی او قيام ويروی بانتهاء او قيام ويروی انه كان
لا يجلس اليه احد وهو يصلی الا خفف صلاته وساله عن
حاجته فاذا فرغ عاد الی صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم
نفسا ما لم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب قال عبد الله بن
الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلی الله تعالی
عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة يأتون رسول الله
صلی الله تعالی عليه وسلم اذا صلی الغداة بانيتهم فيها الماء
فما يؤتی باناء الا غمس يده فيها وربما كان ذلك فی الغداة الباردة

يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع
الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله اعطاه اسمين من
اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابوبكر
بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقرائتي
عليه قال حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابرهيم بن سفيان
حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر انبانا ابن وهب انا
يونس عن بن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى صفوان بن امية مائة
من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن
المسيب ان صفوان بن امية قال لقد والله اعطاني ما اعطاني
وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروى
ان اعرابيا جاء يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك

قال

قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه
فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله فارسل اليه وزاده
شيئا وقال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ما قلت
وفي نفس اصحابي من ذلك شئ فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت
بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك فقال نعم فلما كان
الغد او العشي جاء فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابي
قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من
اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مثلي ومثل
هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها
الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق
بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض
فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى
عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يبلغني

احد منكم عن احد من اصحابى شيئا فانى احب ان اخرج اليكم
وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام تخفيفه
وتسهيله عليهم وكراهته اشيا ومخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا
ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل وضوء وخبر صلاة
الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت ورغبته
لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه يسمع بكاء الصبى
فيتجوز فى صلاته ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ان دعا
ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له
زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة
ولما كذبه قومه جاءه جبريل عليه السلام فقال ان الله قد سمع قول
قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك
به شيئا وروى بن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك

فقال

فقال اؤخر عن امتى لعل الله ان يتوب عليهم قالت عائشة ما
خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الا اختار
ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عائشة انها ركبت
بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله تعالى عليه
وسلم فى الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضى
ابو عامر محمد بن اسماعيل بقرائتى عليه قال ثنا ابو بكر محمد بن محمد
ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابى ثنا
ابو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن
طهمان عن بديل عن بديل عن عبد الكريم عن عبد الله بن
شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابى الحمساء قال بايعت النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية
فوعدته ان اتيه بها فى مكانه فنسيته ثم ذكرت بعد ثلاث
فجئت فاذا هو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ

ثلاث انتظرك وعن انس قال كان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا اتى بهدية قال اذهبوا الى بيت فلانة فانها كانت صديقة
لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عايشة رضي الله تعالى عنها
انها قالت ماغرت على امراة ماغرت على خديجة لما كنت اسمعه
بذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستاذنت
عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن
السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان
حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوى
رحم من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم ان آل بنى فلان ليسوا الى باولياء غير ان لهم
رحما سابلها ببلالها وقد صلى الله تعالى عليه وسلم بامامة
ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا
قام حملها وعن ابى قتادة قال وفد وفد للنجاشى فقام النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى احب ان اكافيهم ولما جى

باخته

باخته من الرضاعة الشيما فى سبى هوازن وتعرفت له بسط لها
رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندى مكرمة محبة او منعتك
ورجعت الى قومك فاختارت قومها وقال ابو الطفيل رايت
النبى صلى الله تعالى وانا غلام اذا اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط
لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التى ارضعته
وعن عمرو بن السائب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر
فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى
ثويبة مولاة ابى لهب مرضعته وكسوة فلما ماتت سال من بقى
من قرابتها فقيل لا احد وفى حديث خديجة رضى الله تعالى عنها
انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ابشر فوالله لا يحزنك
الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى
الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله

تعالى عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته وكان اشد
الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون
نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له
اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك
سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول
شافع ثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه
في منزله بقرطبة سنة سبع وخمس مائة قال ثنا ابو علي الحافظ
ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المومن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا
ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس
عن ابي العديس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال
خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا على عصى
فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا
وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان
يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء
ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث

ما انتهى

ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت
النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس
ان امراة كان في عقلها شيء فجاءته فقالت ان لي اليك حاجة
قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى
اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني
قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى
الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله تعالى
عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة
دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد
فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت
عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطأ على رحله راسه
حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله
تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا

بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم
ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال
له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث
بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عايشة والحسن وابي سعيد
وغيرهم في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضهم يزيد على
بعض كان في بيته في مهنة اهله تعلى ثوبه ويحلب شاته ويرقع
ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير
ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته
من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ
بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته
رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة
من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة دخلت السوق مع النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان
زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله تعالى عليه



وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها
ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله
فقال صاحب الشيء احق بحمله فصل واما عدله صلى الله تعالى
عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله
تعالى عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس
واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له محادوه وعداه وكان
يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله
فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين
على انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت
عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا
محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية قبل
الاسلام وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والله اني
لامين في السماء امين في الارض ثنا ابو علي الصدفي الحافظ

بقراتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة
ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى
الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي
اسحق عن ناجيه بن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل
الله فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت
عندنا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر
فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني
عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق
وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن
الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم
واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه
الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها

وفي حديث علي في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة
وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان
لم اعدل قالت عايشة ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه
في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال
يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب
واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم
بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن
الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
جزاء نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه
ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على
العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه
من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن
الحسن كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ياخذ
احدا يعرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري

عن علي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل
الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد
من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة
لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت
عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على
اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا
ثم عراني مرة اخرى بعد ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل
واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته
وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضته
بكتابه قال ثنا ابو العباس الدلائي انبا ابو ذر الهروي انا ابو
عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عبد الرحمن
بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن
عمر بن عبد العزيز عن ابن وهب قال سمعت خارجة بن زيد
يقول كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه

لايكاد

لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اكثر جلوسه محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس
القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير
حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه
فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا
كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشيا مجتمعا
يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول
الله تعالى عليه وسلم ترتيل وترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته

على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عايشة
رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله تعالى عليه
وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض
عليهما ويقول حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت
قرة عينى فى الصلاة ومن مروته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه
عن النفخ فى الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلى والامر بالسواك
وانقا البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل واما
زهده فى الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفى
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت
اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفى صلى الله تعالى
عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وهو
يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا ثنا سفيان بن
العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضى ابو عبد الله التميمى
قالوا ثنا احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازى قال ثنا

ابواحمد

ابواحمد الجلودى ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين مسلم بن
الحجاج ثنا ابو بكر بن ابى شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش
عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى
مضى لسبيله وفى رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين
ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفى رواية اخرى ما شبع
ال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر حتى لقى الله
وقالت عايشة ما ترك رسول الله تعالى عليه وسلم دينارا
ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفى حديث عمرو بن الحارث
ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت
عايشة ولقد مات وما فى بيتى شئ ياكله ذو كبد الا شطر شعير
فى رف لى وقال لى انى عرض على ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت
لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع فيه
فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك
واثنى عليك وفى حديث اخر ان جبريل نزل عليه فقال له ان الله

يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا و
تكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له
فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة
قالت ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء
وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة
وابى امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهل الليالى المتتابعة
طاويا لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على اخوان قط ولا فى سكرجة ولا
خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة انما كان
فراشه الذى ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان
فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته مسحا نثنيه
ثنتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتمولى

الليلة

الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتنى
الليلة صلاتى وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى
يؤثر فى جنبه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عايشة قالت
لم يمتل جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط ولم يبث
شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان
ليظل جايعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه
ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها
ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى به وامسح بيدى على بطنه
مما به من الجوع واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك
فيقول يا عايشة مالى وللدنيا اخوانى من اولى العزم من الرسل
صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحى ان ترفهت
فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم وما من شئ هو احب
الى من اللحوق باخوانى واخلائى قالت فما اقام بعد الا اشهرا
حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم فصل واما خوفه ربه

وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال
فيما حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال ثنا ابو القاسم
الطرابلسي ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا
ابو عبد الله الفربري ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير
عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان
ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد
في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط
ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما
تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون
الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت
اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث
المغيرة صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انتفخت

قدماه

قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا
وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا
شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة كان عمل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان
يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال كنت
لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته
نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه
فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا
يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول
سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك
ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة
مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا
منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن

عايشة قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باية من القرآن
ليلة وعن عبد الله بن الشخير قال اتيت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابى هالة كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة وقال عليه السلام انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة
وروى سبعين مرة وعن على رضى الله تعالى عنه قال سالت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالى
والعقل اصل دينى والحب اساسى والشوق مركبى وذكر الله انيسى
والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضى
غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى اليقين قوتى والصدق شفيعى
والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلوة وفى حديث اخر
وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل امتى وشوقى الى ربى فصل اعلم
وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله
عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
وجميع المحاسن هى هذه الصفة لانها صفة الكمال والكمال والتمام البشرى

والفضل

والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب
ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض
قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد
اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان اول زمرة
يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على
خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه السلام طوله
ستون ذراعا فى السماء وفى حديث ابى هريرة رايت موسى
فاذا رجل ضرب رجل افتى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى
فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس
وقال فى حديث اخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد
ابرهيم به وقال فى حديث اخر فى صفة موسى كاحسن ما انت
راء من ادم الرجال وفى حديث ابى هريرة عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم ما بعث الله من بعد لوط نبيا الا فى ذروة من قومه
ويروى فى ثروة اى كثرة ومنعة وحكى الترمذى عن قتادة
ورواه الدارقطنى من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا

الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها
واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسالتك عن نسبه
فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال الله تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه
اواب وقال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم
يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال الله
تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على
العالمين الايتين وقال الله تعالى في نوح انه كان عبدا شكورا
وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال
انى عبد الله اتانى الكتاب الى قوله ما دمت حيا وقال يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده
شيء استحياء الحديث وقال الله تعالى فوهب لي ربي حكما
وجعلني من المرسلين وقال في وصف جماعة منهم انى لكم رسول
امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر

كما صبر

كما صبر اولو العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من
الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه
بغلام عليم حليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وقال في اسماعيل انه كان صادق الوعد الايتين وفي موسى انه
كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا
ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار
وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب وقال في يوسف اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ
عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وقال ستجدني
ان شاء الله من الصالحين وقال في شعيب وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون
في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكرتها

من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك
في الاحاديث كثيرة كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي بن نبي بن نبي بن
نبي وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام عيونهم ولا تنام
قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع
بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذايذ
الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحي اليه يا رأس العابدين وابن محجة
الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح
فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف مالك تجوع وانت
على خزائن الارض قال اخاف ان شبع فانسى الجايع وروى ابو
هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القران فكان يأمر
بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان يسرج ولا ياكل الا من عمل
يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في
السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت
مال الله وقال عليه السلام احب الصلاة الى الله صلاة داود

واحب الصيام الى الله صوم داود كان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس
الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج
شرابه بالدموع ولم يرضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره
الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكا حتى
نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدود وقيل
كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا
وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله
من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت
اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين
وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة
البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان الانبياء قبلي
يبتلي احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليه من العطا اليكم
وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له
في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق بسوء وقال مجاهد كان

طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع
في خده مجرى وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري
عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش وياكل في نقرة من حجر
ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه
به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال
وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة
فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين
والمفسرين مما يخالف هذا فصل قد اتينا اكرمك الله من ذكر
الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة
واريناك صحتها له صلى الله تعالى عليه وسلم وجلبنا من الاثار
ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله تعالى
عليه وسلم ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه
زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح
والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض
من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن

ابي هالة.

ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية
من سيره وفضائله ونضله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله
ثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله تعالى بقراءتي
عليه سنة ثمان وخمس مائة قال ثنا الامام ابو القاسم عبد الله
بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد
بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن
جعفر الوحشي قالوا ثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن
الحسن الخزاعي انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال
انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا سفيان
بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه
قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة
ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن ابي هالة
عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال سألت
خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ

ابى طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداذاذ الكرخى الباقلانى قال
واجازلنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون
قالا انبا ابو على الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن
شاذان بن حرب بن مهران الفارسى قرأة عليه فاقربه انبا
ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن
الحسين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المعروف بابن اخى
طاهر العلوى قال ثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد
بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب قال حدثنى على بن جعفر بن
محمد بن على بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد
عن ابيه محمد بن على عن على بن الحسين قال الحسن بن على واللفظ
لهذا المسند قال سألت خالى هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لى
منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر اطول من المربوع
واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته

فرق

فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع
الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب
اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية
ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة
كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا
سواء البطن والصدر مسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم
الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى
كالخط عارى الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين
واعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحتين شثن الكفين
والقدمين سائل الاطراف او قال سائن الاطراف وسائر الاطراف
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما
الماء اذا ازال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع
المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت
جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام

قلت صف لى منطقه قال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة
ولا يتكلم فى غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير
دمثا ليس بالجافى ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا
لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق
بشئ حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار
اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب
بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح
غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال
الحسن وكتمتها الحسين بن على زمانا ثم حدثته فوجدته قد
سبقنى اليه فسال اياه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال
الحسين سالت ابى عليه السلام عن دخول رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قال كان دخوله لنفسه ماذونا له فى ذلك

فكان

فكان اذا اوى الى منزله جزاء دخوله ثلاثة اجزاء جزء الله
تعالى وجزء الاهله وجزء النفسه ثم جزاء جزاءه بينه وبين
الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا
فكان من سيرته فى جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه قسمه
على قدر فضلهم فى الدين ومنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوايج ويتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم
والامة من مسالته عنهم واخبارهم بالذى ينبغى لهم
ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغايب وابلغونى حاجة من
لا يستطيع ابلاغى حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من
لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدمه يوم القيمة لا يذكر عنده
الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال فى حديث سفيان بن
وكيع ويدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون
ادلة يعنى فقهاء قلت فاخبرنى عن مخرجه كيف كان يصنع فيه
قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه
الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه

عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد
بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل
الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال
عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه
من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة و
اعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته
عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن
الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه
حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه
او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله
حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس
بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء متفاضلين

متفاضلين

متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده
في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته فهذه الكلمة من
غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون
فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
فيه الغريب فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم في
جلسائه فقال كان رسول الله تعالى عليه وسلم دائم البشر
سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا فحاش ولا
عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك
نفسه من ثلاث الريا والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس
من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا
يتكلم الا فيما يرجوا ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم
عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك
مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب

على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها
فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من كاف ولا يقطع على احد حديثه
حتى يتجوزه فيقطعه بانتهام او قيام هذا انتهى حديث سفيان
بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه
وسلم قال كان سكوته صلى الله تعالى عليه على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر
والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له
الحلم صلى الله تعالى عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه
شئ يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به
وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الراى بما اصلح امته والقيام
لهم مما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه
فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قول المشذب
اى البائن الطويل في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس
بالطويل الممغط والشعر الرجل الذى كانه مشط فتكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت

من ذات

من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته
وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا
اى زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق
ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون
ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب الازج
المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه
والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر
الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه
بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر
اشكل العين واسجر العين وهو الذى في بياضها حمرة والضليع
الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل دقتها وتحزيز فيها
كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق
المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم
ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث
الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم

القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح
الصدر ان صحت هذه الكلمة فيكون من الاقبال وهو احد
معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره
قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله سواء البطن والصدر
اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح
بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى حكاه
ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في
الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس
المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين
تحبهما والزندان عظم الذراعين وسائل الاطراف اي طويل
الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف
او قال سابن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون
ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف
فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث
ورحب الراحة اي واسعها وقيل كني به عن سعة العطاء

والجود

والجود خمصا الاخمصين اي متجافي اخمص القدم والموضع
الذي لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي
املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف
هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا
يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن
مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا
يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ
الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرتفع فيه رجليه بسرعة
ويمد خطوه خلاف خطوة المختال ويقصد سمته وكل ذلك
برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح
بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه
ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه

للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون روادا اي
محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق
قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب
والاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة
وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما
وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي
حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي
لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم تكن
فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب
الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل
مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من
مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
له ويستفزه يستخفه وفي حديث اخر في وصفه منهوس العقب
اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها من تعظيم قدره عند ربه

ومنزلته

ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله تعالى
عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل
الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى
واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد
اقتصرنا على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما وردنا منها
على اثني عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته
عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة
ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه
الطيب انا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه
قال ثنا الشيخ ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت
ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى
هو ابن اسماعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش
عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني
من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال

فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل
القسمين اثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب
الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فانا من
السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلنى
من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية
فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل
بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وعن ابى سلمة
عن ابى هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة
قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى
كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى
هاشم واصطفانى من بنى هاشم ومن حديث انس قال
انا اكرم ولد ادم على ربى ولا فخر وفى حديث بن عباس

انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة عنه عليه
السلام اتانى جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها
فلم ارد رجلا افضل من محمد ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم
وعن انس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق ليلة
اسرى به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل
هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن
بن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله ادم اهبطنى فى
صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف
بى فى النار فى صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلنى فى الاصلاب
الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا
على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب
رضى الله تعالى عنه فيه بقوله

من قبلها طبت فى الظلال وفى   مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر   انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد   الجم نسرا واهل الغرق

تنقل من صالب الى رحم — اذا مضى عالم بدى طبق
وردت نار الخليل مكتتما — فى صلبه كيف يحترف
حتى احتوى بيتك المهيمن من — خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض — وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضيا وفى — النور وسبل الرشاد نخترق

وروى عنه عليه السلام ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة
وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفى بعضها ستا
لم يعطهن نبى قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى
الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته
الصلوة فليصل واحلت لى الغنايم ولم تحل لنبى قبلى وبعثت
الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفى رواية اخرى
بدل هذه الكلمة وقيل لى سل تعطه وفى رواية اخرى
وعرض على امتى فلم يخف على التابع والمتبوع وفى رواية بعثت
الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على
الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض

والسود

والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن
وفى الحديث الاخر عن ابى هريرة نصرت بالرعب واوتيت
جوامع الكلم وبينا انا نايم اذ جئ بمفاتيح خزاين الارض
فوضعت بين يدى وفى رواية اخرى عنه وختم بى النبيون
وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام انى فرط لكم
وانا شهيد عليكم وانى والله لانظر الى حوضى الان وانى قد اعطيت
مفاتيح خزاين الارض وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا
بعدى ولكنى اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد
الرحمن بن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال انا محمد النبى الامى لا نبى بعدى اوتيت جوامع الكلم
وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر
بعثت بين يدى الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه
السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل
يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فقال

الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر
وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت
الارض طهوراً لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من
ذنبك وما تأخر فانت تمشي في الناس مغفوراً لك
ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها
وخبات لك شفاعتك ولم اخباها لنبي غيرك وفي حديث
اخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة
معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا
ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب
واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا
وطيب لي ولامتي الغنايم واحل لنا كثيرا مما شدد
على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة
عنه عليه السلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطى من
الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة

معجز

معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وساير
معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها
ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا اخبرا الى يوم القيمة وفيه
كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه
سوى هذا اخر باب المعجزات وعن علي رضي الله تعالى عنه
كل نبي اعطى سبعة نجباء من امته واعطى نبيكم صلى الله
تعالى عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر
وابن مسعود وعمار وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله
قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسول الله والمؤمنين
وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن
العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل
في طينته دعوة ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن
بن عباس قال ان الله فضل محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم
على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا

فما فضله على اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء ومن
يقل منهم اني اله من دونه الآية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا
مبينا الآية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى
قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية وقال
لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه
عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم
انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها
نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما
اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة
رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني وشقا بطني
قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه

قلبي

قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا
بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول
احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم
به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على
مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل عليه السلام قال
قلب وكيع اي شديد فيه عينان تنظران واذنان تسمعان
ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه
بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك
فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني
الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب
لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي
بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله
معك وملائكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان ولّيا عني
فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث

السمرقندي وغيرهما ان ادم عند معصيته قال اللهم بحق
محمد اغفر خطيئتي وروي تقبل توبتي فقال له الله من اين
عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوب لا اله الا
الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت
انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند
قائله تأويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وفي
رواية اخرى فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك
فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه
ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك
فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك
ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي
البشر وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحة
عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وروى عن القانع القاضي عن ابي الحمراء قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسري بي الى

السماء

السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول
الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى
وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا
لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك
عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله
لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب
الجنة مكتوب انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب
من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد
تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه
شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه
مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر
الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض
لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه
اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا فليقم من اسمه محمد فليدخل
الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه

وابن وهب فى جامعه عن مالك سمعنا اهل مكة يقولون
ما من بيت فيه اسم محمد الا نمى ورزقوا وعنه عليه السلام
ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن
عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار
منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته
وحكى النقاش ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من
بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلنى عليكم وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا
الحديث فصل فى تفضيله بما تضمنته كرامات الاسراء
من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى
سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن
خصايصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه
من درجات الرفعة مما نبه عليه ذلك الكتاب العزيز وشرحته
صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا

من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية وقال والنجم اذا هوى
الى قوله لقد رأى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين
فى صحة الاسراء به عليه اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله
وشرح عجايبه وخواص محمد نبينا عليه السلام فيه
احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى
زيادة من غيره يجب ذكرها ثنا القاضى الشهيد ابو على والفقيه
ابو بحر سماعى عليهما والقاضى ابو عبد الله التميمى وغير واحد
من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذرى ثنا ابو
العباس الرازى ثنا ابو احمد الجلودى ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة
ثنا ثابت بن البنانى عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة
ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربطها
الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت

فجاء بي جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن
فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم
صلى الله تعالى عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن
ذكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو قد اعطي شطر الحسن
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله
فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله
فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء

السادسة

السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر فاذا انا بابراهيم مسند
ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى
فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها
من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي
خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى
ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني
قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت
يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك
فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين
ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات

كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له
عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان
عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى
موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله تعالى عنه
جوّد ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يأت
احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس
تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر
في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا
انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف
انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة
بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية

حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان وهو عند ظئره وشقه
قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس
فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة
المنتهى كانت قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم
عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى
يونس بن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف بيتي
فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم
جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في
صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر
القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن
صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف
في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس
اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات

نذكر منها نكتا مفيدة فى غرضنا منها فى حديث بن شهاب وفيه قول
كل نبى له مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم
فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق بن عباس ثم عرج بى
حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس
ثم انطلق بى حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان ما ادرى
ما هى قال ثم ادخلت الجنة وفى حديث مالك بن صعصعة فلما
جاوزته يعنى موسى بكى فنودى ما يبكيك قال يا رب هذا
غلام بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر ما يدخل
من امتى وفى حديث ابى هريرة وقد رايتنى فى جماعة من الانبياء
فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن
النار فسلم عليه فالتفت فبدأنى بالسلام وفى حديث
ابى هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه
الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل
من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة

فنعم

فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على
ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على
ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربى الحمد لله الذى
ارسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل
على الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل امتى خير امة وجعل
امتى امة وسطا وجعل امتى هم الاولون وهم الاخرون وشرح
لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا
وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء
الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفى حديث بن
مسعود وانتهى بى الى سدرة المنتهى وهى فى السماء
السادسة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض
منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفى رواية ابى هريرة

من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها
كل واحد من امتك خلى على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج
من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه
وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي
شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها
مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله
اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال
انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت
موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد
وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له
الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم
فلم يكن له عليهما سبيل فقال له تعالى قد اتخذتك حبيبا
فهو مكتوب في التورية والانجيل محمد حبيب الرحمن وارسلتك

الى الناس

الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون
وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا
واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي ولم اعطها نبيا
قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال
فاعطي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا اعطي
الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن
لم يشرك بالله من امته شيئا المقحمات وقال ما كذب
الفؤاد ما راى الاية راى جبريل في صورته له ستمائة
جناح وفي حديث شريك انه راى موسى في السابعة
قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه
الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روى
عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء
ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام
فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطاير فقعد في واحدة
وقعدت في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت
لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس
لاطي فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورايت
النور الاعظم واذا دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم
اوحى الله الى ما شاء ان يوحى وذكر البزار عن علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان
جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكني فوالله ما ركبك
عبد اكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فركبها حتى
اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج
ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا
جبريل من هذا فقال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق
مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال

الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي
انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر
جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ
الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال
ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى
الله تعالى عليه وسلم الشرف على اهل السماء والارض
قال القاضي رضي الله تعالى عنه ما في هذا الحديث من ذكر
الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري
جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس
ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شاء
وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك
من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من
الملائكة عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته
وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول

جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ
خلقت قبل ساعتي هذه فدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات
ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي
علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما
قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن
او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم
به كما قال الله تعالى واسئل القرية التي كنا فيها اي اهلها وقوله
فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا
الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب
بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله
رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم فصل ثم اختلف
السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده على ثلاث
مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام

مع

مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية
وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد
بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله بينا انا نائم
وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال
في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب
معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة
وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة
وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري
وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن
المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم و
ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول
عايشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة
من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين

والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد
يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه
بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
محمد به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان
الاسراء بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ
في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا
ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة
بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي
رضي الله تعالى عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله انه اسراء
بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح
الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل
الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته
استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله

ما زاغ

ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية
معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء
من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم
يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره عن جسمه وحال
يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت
المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر
مجئ جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء
فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم
معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلوة ومراجعته مع
موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل
بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت
بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة
المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس
هي رؤيا عين راها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا رؤيا
منام وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاني جبريل فهمزني

بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعى ذكر ذلك ثلاثا
فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى فجرنى باب المسجد فاذا بدابة وذكر
خبر البراق وعن ام هانى ما اسرى برسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة صلى العشاء الاخرة
ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانى لقد صليت
معكم العشاء الاخرة كما رايت بهذا الوادى ثم جئت بيت
المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون
وهذا بين فى انه بجسمه وعن ابى بكر من رواية شداد بن اوس
عنه انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به
طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك فلم اجدك فاجابه
ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة بى فى مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه انية ثلاث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فيحتمل على ظاهرها

وعن

وعن ابى ذر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرج سقف
بيتى وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدرى ثم غسله بماء
زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدى فعرج بى وعن انس
اتيت فانطلقوا بى الى زمزم فشرح عن صدرى وعن ابى
هريرة لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسئلنى عن مسراى
فسألتنى عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط
فرفعه الله لى لانظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عن
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث الاسراء عنه
عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجه وما تحولت عن
جانبها فصل فى ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا
قلنا قوله سبحانه وتعالى سبحان الذى اسرى يرده لانه
لا يقال فى النوم اسرى وقوله فتنة للناس يويد انها رؤيا
عين واسراء شخص اذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذب به احد
لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة

فى اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الاية
فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية وما وقع فى
نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قوله انه قد سماها فى
الحديث مناما وقوله فى حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله
فى حديث ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة
فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول
حمله والاسراء به وهو نائم وليس فى الحديث انه كان نائما فى
القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا فى المسجد
الحرام فلعل قوله بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد
بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه
وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان
غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض
وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من ايات
ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو
بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه

حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر
ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال
بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغمض عينيه
لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا
ان يكون فى وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له فى هذه
الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا
عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله فى رواية
عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفى
رواية هدبة عنه بينا انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجع
وقوله فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى
هيئة بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم
الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب
الواقعة فى هذا الحديث انما هى من رواية شريك عن انس
فهى منكرة من روايته اذ شق البطن فى الاحاديث
الصحيحة انما كان فى صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه

قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع انما كان بعد البعث
فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير
طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله تعالى
عليه فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله
عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر واما قول
عايشة ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة
لانها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن
ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان
في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد البعث
بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام
وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام
والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا
فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها
فلم يرجح خبرها على خبر غيرها بقول خلافه مما وقع نصا في
حديث ام هاني وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت

والاحاديث

والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت
فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة ما فقدت
ولم يدخل بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة
وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
لانكارها ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها
منا ما لم تنكره فان قيل فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم
ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل
التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب
العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأته
عينه فصل وما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه جل
جلاله فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة حدثنا ابو الحسن
سراج بن عبد الملك الحافظ بقراتي عليه حدثني ابي وابو عبد الله
بن عتاب الفقيه قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل

الصغلى ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا
عبدالله بن على ثنا محمود بن ادم ثنا وكيع عن ابن ابى خالد عن عامر
عن مسروق انه قال لعايشة يا ام المؤمنين هل راى محمد ربه
فقالت لقد قف شعرى مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد
كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه
الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو
المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابى هريرة انه انما راى جبريل
ولخلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته فى الدنيا جماعة
من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه
وروى عطا عنه راه بقلبه وعن ابى العالية عنه راه بفؤاده
مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يساله
هل راى محمد ربه بعينه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه
بعينه روى ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى
بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب
الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال

الماوردى قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين
موسى ومحمد فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى
ابو الفتح الرازى وابو الليث السمرقندى الحكاية عن كعب
وروى عبدالله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد راى
ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم
رؤيته وكلامه بين محمد وموسى وراه محمد بقلبه وروى
شريك عن ابى ذر فى تفسير الاية قال راى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم ربه وحكى السمرقندى عن محمد بن كعب القرظى
وربيع بن انس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل
هل رايت ربك قال رايته بفؤادى ولم اره بعينى وروى
مالك بن نجامر عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال رايت ربى وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملاء
الاعلى الحديث وحكى عبدالرزاق ان الحسن كان يحلف
بالله تعالى لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكى عن

عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى
ابن اسحق ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم
وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال
احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برأيته في الدنيا بالابصار
وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل
الاية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى
عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه
وعن بن عطاء في قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره
للرأية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن
اسمعيل الاشعري رضي الله تعالى عنه وجماعة من اصحابه انه رأى
الله ببصره وعيني رأسه وقال كل اية اوتيها نبي من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض

مشايخنا

مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز
ان يكون قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه والحق الذي
لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس
في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال
موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله
وما لا يجوز عليه بل لم يسل الا جائزا غير مستحيل ولكن
وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله
تعالى فقال له الله لن تراني اي لن تطيق ولا تحمل رؤيتي
ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو
الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رأيته في الدنيا بل فيه جوازها
على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها
اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن
استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار
لاختلاف التأويلات في الاية واذ ليس يقتضي قول من قال
في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم هذه الاية نفسها

على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل
لا تدركه الابصار ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما
يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله
تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال
معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس فيه نص
الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات
وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت
اليك اي من سؤال ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي
في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه
من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما
معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل
الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للافات والفنا فلم تكن
لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا

قوة

قوة ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها
على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال
لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة
ورزقوا ابصارا باقية راى الباقي بالباقي وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة
فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء
الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى
ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك
ما ادركاه ورؤية ما راياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر
في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام
راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك
خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو
ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله

بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا
يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه
راه وبرؤيته الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له
اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات
نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول بانه راه بعينه فليس
فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع
فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن
اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيجب
العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية
وحديث معاذ محتمل التاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن
وحديث ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فرأى نوراني
راه وحكى بعض شيوخنا انه روى نوراني اراه وفي حديثه
الاخر سالته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر

انه

انه لم ير الله وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله
والى هذا يرجع قوله نوراني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور
المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور
وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلى
ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في
القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين
في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع
قطعي يرده والله تعالى الموفق فصل واما ما ورد في هذه
القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله فاوحى الى
عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين
على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذوذا منهم
فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى الله اليه بلا واسطة
ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا
كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن
مسعود وابن عباس وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن

عباس فی قصة الاسراء عنه علیه السلام فی قوله دنی
فتدلی قال فارقنی جبریل فانقطعت الاصوات عنی فسمعت
کلام ربی وهو یقول لیهدأ روعك یا محمد ادن ادن وفی
حدیث انس فی الاسراء نحو منه وقد احتجوا فی هذا بقوله
تعالی وما کان لبشر ان یکلمه الله الا وحیا او من وراء حجاب
او یرسل رسولا فیوحی باذنه ما یشاء فقالوا هی ثلثة
اقسام من وراء حجاب کتکلیم موسی و بارسال ملئکة
کحال جمیع الانبیاء واکثر احوال نبینا صلی الله تعالی علیه
وسلم الثالث قوله وحیا ولم یبق من تقسیم صور الکلام
الا المشافهة مع المشاهدة وقد قیل الوحی هنا هو ما یلقیه
فی قلب النبی دون واسطه وقد ذکر ابو بکر البزاز عن علی
فی حدیث الاسراء ما هو اوضح فی سماع النبی صلی الله تعالی
علیه وسلم لکلام الله تعالی من الایة فذکر فیه فقال
الملك الله اکبر الله اکبر فقیل لی من وراء الحجاب صدق
عبدی انا اکبر انا اکبر وقال فی سائر کلمات الاذان مثل ذلك

ویجئ

ویجئ الکلام فی مشکل هذین الحدیثین فی الفصل بعد هذا مع
ما یشبهه وفی اول فصل من الباب منه فکلام الله لمحمد
ومن اختصه من انبیائه جائز غیر ممتنع عقلا ولا ورد
فی الشرع قاطع بمنعه فان صح فی ذلك خبر احتمل علیه وکلامه
تعالی لموسی کائن حق مقطوع به نص ذلك فی الکتاب واکده
بالمصدر دلالة علی الحقیقة ورفع مکانه علی ما ورد فی
الحدیث فی السماء السابعة بسبب کلامه ورفع محمدا فوق
هذا کله حتی بلغ مستوی وسمع صریف الاقلام فکیف
یستحیل فی حق هذا او یبعد سماع الکلام فسبحان من خص
من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل
واما ما ورد فی حدیث الاسراء وظاهر الایة من الدنو والقرب
من قوله دنی فتدلی فکان قاب قوسین او ادنی فاکثر
المفسرین ان الدنو فتدلی منقسم ما بین محمد وجبریل علیهما
السلام او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهی
قال الرازی وقال ابن عباس وهو محمد دنی فتدلی من ربه

وقيل معنى دنى قرب و تدلى زاد فى القرب و قيل هما بمعنى
واحد اى قرب وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس هو
الرب دنى من محمد فتدلى اليه اى امره وحكمه وحكى النقاش
عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ماشاء ان يريه من قدرته وعظمته
قال و قال ابن عباس هو مقدم و مؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى
الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا
من ربه قال فارقنى جبريل وانقطعت عنى الاصوات وسمعت
كلام ربى وعن انس فى الصحيح عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى
ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر
حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد من ربه
فكان قاب قوسين او ادنى قال و قال جعفر محمد ادناه ربه
منه حتى كان منه كقاب قوسين و قال جعفر بن محمد والدنو
من الله تعالى لاحد له ومن العباد بالحدود و قال ايضا

انقطعت

انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه
ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى
بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه اعلم ان ما وقع من
اضافة الدنو والقرب من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا
قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما
دنو النبى من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته و تشريف
رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته
ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه
ما يتأول فى قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه
نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطى
من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه
من الحق تدلى بعدا يعنى درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد
وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله
تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف

المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب
واظهار التحفى وانافة المنزلة والمرتبة من الله له وبنا ول
فيه ما يتاول فى قوله من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا
ومن اتانى يمشى اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المأمول فصل فى ذكر تفضيله فى القيمة
بخصوص الكرامة ثنا القاضى ابو على ثنا ابو الفضل وابو الحسين
قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجى ثنا ابن محبوب ثنا الترمذى ثنا
الحسين بن يزيد الكوفى ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث
عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدى
وانا اكرم ولد ادم على ربى ولا فخر وفى رواية ابن زحر
عن الربيع بن انس فى لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا

وانا

وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الكرم
بيدى وانا اكرم ولد آدم على ربه ولا فخر ويطوف على الف
خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابى هريرة واكسى حلة من
حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيرى وعن ابى سعيد قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم
القيمة وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما نبى يومئذ ادم فمن
سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق الارض ولا فخر
وعن ابى هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد
ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول
مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق
الجنة فيفتح لى فادخلها ومعى فقراء المسلمين ولا فخر وانا
اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس
يشفع فى الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون
لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة
وعن ابى هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اول الانبياء
اجرا يوم القيمة وفى حديث اخر اما ترضون ان يكون
ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما فى امتى يوم
القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتى وذريتى فاجعلنى
من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم
شتى وان عيسى اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى الناس
قوله وانا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم فى الدنيا
ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد
والشفاعة دون غيره اذ لجاء الناس اليه فى ذلك فلم يجد
واسواه والسيد هو الذى يلجاء الناس اليه فى حوايجهم
فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد
فى ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له تعالى فى الدنيا والاخرة لكن فى الاخرة انقطع

دعوى

دعوى المدعين لذلك فى الدنيا وكذلك لجاء الى محمد جميع
الناس فى الشفاعة فكان سيدهم فى الاخرى دون
دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انا باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن
من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض
من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء
من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابى ذر نحوه وقال طوله
ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن
ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق
وفى رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال
انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود
وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وبن
عمرو وعقبة بن عامر وحارثة وبن وهب الخزاعى والمستورد

وابو برزة الاسلمى وحذيفة بن اليمان وابو امامة
وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد
وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدرى
وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة
واسماء بنت ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس
وغيرهم فصل فى تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك
الاثار الصحيحة واختص صلى الله تعالى عليه وسلم
على السنة المسلمين بحبيب الله ثنا ابو القاسم بن
ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد قالت انبا
ابو الهيثم وثنا حسين بن الحافظ سماعا عليه ثنا القاضى
ابو الوليد ثنا عبد بن احمد ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن محمد
ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر بسر بن سعيد عن
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا
خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا وفى حديث اخر

وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن عبد الله بن عباس
قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج اذا دنى منهم سمعهم
يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله
اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم
وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم
خليلا وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى
روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك
الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء
المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر

وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية
اسب اى انت حبيب الرحمن قال ابو الفضل القاضي رضي
الله تعالى عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها
فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه
ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول
غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاصطفاء وسمي
ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله
له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير
المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي ابراهيم
بها لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله
قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال
الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة
صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال
بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف

والترفيع

والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل
فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه
قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها
العداوة كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة فاذا تسمية
ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى
الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه
والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة اختصاص
منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خلل بواطنهما
من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب
لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه
وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام

واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة
او درجة المحبة فجعلها بعضهم سواء فلا يكون الحبيب
الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة
ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها
واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة
لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم
واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من
يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده
تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب
القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن
قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال
في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي

يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى
التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء
القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عايشة كان
خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط وبهذا عبر
بعضهم عن الخلة بقوله   قد تخللت مسلك الروح مني
وبذا سمي الخليل خليلا   فاذا ما نطقت كنت حديثي
واذا سكت كنت الغليلا   فاذا مزية الخلة وخصوصية
المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الاثار
الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية حكى اهل
التفسير ان هذه الاية لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد
ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله
والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته
ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب

الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض
المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة بطول جملة اشارة
الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدى
الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله
وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل اليه به بغير واسطة لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين
او ادنى وقيل الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع من قوله
والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى والحبيب الذى مغفرته فى حد
اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الاية والخليل قال
ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدئ
بالبشارة قبل السؤال والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب
قيل له ~~ورفعنالك~~ يا ايها النبى حسبك الله والخليل قال
واجعل لى لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك
اعطى بغير سؤال والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام
والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

وفيما



وفيما ذكرنا تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل
المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيله فصل فى تفضيله بالشفاعة والمقام
المقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا اخبرنا الشيخ ابو على الغسانى الجيانى فيما كتب فيه
الى بخطه نا سراج بن عبد الله القاضى نا ابو محمد الاصيلى
نا ابو زيد وابو احمد قالا نا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
اسماعيل نا اسمعيل بن ابان نا ابو الاحوص عن ادم بن
على قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة
جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان
اشفع لنا حتى ينتهى الشفاعة الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فذلك يوم يبعثه الله تعالى المقام المحمود وعن ابى هريرة
سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى قوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هى الشفاعة
وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم

القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم
يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود
وعن ابن عمرو ذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ
بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده
وعن ابن مسعود عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين العرش
مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي
اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو
قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن ابي
موسى عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي
الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها
للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول
الله ما ذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن يشهد
ان لا اله الا الله مخلصا بصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة

قالت

قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت
ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق
لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوتيني
شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس
في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي
محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس
اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك
لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله وقال
ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى اخر
زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة
الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم
اهل الجنة فيسألون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم
وكلهم يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام

المحمود ونحوه عن بن مسعود ايضا ومجاهد وذكر
على بن الحسين عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمود يعنى
الذى يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذى
يخرج الله به من يخرج يعنى من النار وذكر حديث الشفاعة
فى اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود
الذى وعده وفى سلمان المقام المحمود الشفاعة فى امته
يوم القيمة ومثله عن ابى هريرة وقال قتادة كان عن اهل
العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته صلى الله تعالى عليه
وسلم يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه صلى الله
تعالى عليه وسلم الشفاعة مذاهب السلف من الصحابة
والتابعين وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة فى
صحيح الاخبار عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وجاءت مقالة
فى تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت
اذ لم يعضدها اثر ولا سديد نظر ولو صحت كان لها

تاويل غير مستنكر لكن فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى صحاح الاثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يأت
فى كتاب ولا سنة ولو اتفقت على المقال به امة وفى اطلاق
ظاهره منكر من القول وشنعة وفى رواية انس وابى هريرة
وغيرهما دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قال عليه
السلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون
او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن
طريق عنه ماج الناس بعضهم فى بعض وعن ابى هريرة وتدنوا
الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون
فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون ادم فيقولون
زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء
كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهانى عن الشجرة

فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون
نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك
الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا
تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي
قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه
بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله
فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد
غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كذباتٍ نفسي
نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي
رواية ذا عبدا اتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون
موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله
النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله

وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد
عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فاوتى فاقول
انا لها فانطلق فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايت
وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا
وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا
ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده
وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال في
رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه
واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي
فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب
ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا
فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع
وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان
في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان واخرجه

فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربى فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل
الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع
الى ربى وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان فى قلبه ادنى
ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر فى المرة الرابعة
فيقال لى ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يا رب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك
اليك ولكن وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى وجبريائى
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة
عنه قال ولا ادرى فى الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقى
فى النار الا من حبسه القران اى وجب عليه الخلود وعن ابى
بكر وعقبة بن عامر وابى سعيد وحذيفة مثله وقال فياتون
محمدا فيؤذن له وتاتى الامانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط
وذكر فى رواية ابى مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع
فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد
الرجال ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم على الصراط يقول

اللهم

يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا
الحديث وفى رواية ابى هريرة فاكون اول من يجيز وعن
ابن عباس عنه عليه السلام ثم يوضع للانبياء منا
بر يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قائما بين يدى
ربى منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل
الجنة بشفاعتى ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد
امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت
لغضب ربك فى امتك من نقمة ومن طريق زياد النميرى عن
انس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول
من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس
يوم القيمة ولا فخر ومعى لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من
تفتح له الجنة ولا فخر فاتى فاخذ بحلقة الجنة فيقال من
هذا فاقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار تعالى فاخر له
ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة
لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ
هذه الاثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من
اول الشفاعات الى اخرها من حين يجمع الناس للحشر وتضيق
بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه
وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لازاحة الناس من
الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث
عن ابى هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع فى
تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم فى
الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار
منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال
لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم
وفى الحديث المنتشر الصحيح لكل نبى دعوة يدعوا بها واختبات
دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة
اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبى

منهم

منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف
وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين
من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابى هريرة
فى هذا الحديث لكل نبى دعوة دعا بها فى امته فاستجيب له
وانا اريد ان اوخر دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة وفى
رواية ابى صالح لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته
ونحوه فى رواية ابى ذرعة عن ابى هريرة وعن انس مثل
رواية بن زياد عن ابى هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله
تعالى عليه وسلم انه سئل لامته اشياء من امور الدين
والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة
ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظم السوال والرغبة جزاه الله
احسن ما جزا نبيا عن امته صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل فى تفضيله فى الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعه

والكوثر والفضيلة نا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراتي عليه قالا
نا ابو علي الغساني نا النمري نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر
التمار نا ابو داود نا محمد بن مسلمة نا ابن وهب عن ابي
لهيعة وحيات وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة
عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه
سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى
علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم صلوا الله تعالى لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله فارجو
ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه
الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى
درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي

اعطا

اعطاه الله تعالى قال ثم ضرب بيده الى طينة فاستخرج
مسكا وعن عايشة وعبد الله عمرو مثله قال ومجراه
على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج
وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد
عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن
عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال
سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه
وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني
الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في
قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من
لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى
وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم فصل فان قلت
اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كونه
اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة
بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال ثنا

السمرقندى قال نا الفارى قال نا الجلودى نا ابن سفيان
نا مسلم نا ابن مثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة
سمعت ابا العالية يقول حدثنى بن عم نبيكم صلى الله تعالى
عليه وسلم يعنى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم
ما ينبغى لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفى غير هذا
الطريق عن ابى هريرة قال يعنى نبى الله ما ينبغى لعبد الحديث
وفى حديث ابى هريرة فى اليهودى الذى قال والذى اصطفى موسى
على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفى
رواية لا تخيرونى على موسى فذكر الحديث وفيه فلا اقول
ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابى هريرة ومن قال
انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن
احدكم انا خير من يونس بن متى وفى حديثه الاخر فجاءه
رجل فقال يا خير البرية فقال ذلك ابراهيم فاعلم ان العلماء

فهذه

فى هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل
كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى من التفضيل اذ
يحتاج الى توقيف وان فضل بغير علم فقد كذب وكذلك
قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضى تفضيله هو
وانما هو فى الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثانى انه قاله
صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفى التكبر
والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان
لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقيص بعضهم او الغض
لا سيما فى جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه
بما اخبر لئلا يقع فى نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة
وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال الله تعالى عنه اذ ابق
الى الفلك المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن
لا علم عنده حطيطه بذلك الوجه الرابع منع التفضيل
فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على احد واحد هى
شئ واحد لا تتفاضل وانما التفاضل فى زيادة الاحوال

والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة فى
نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها
فلذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم من
رفع مكانا عليا ومنهم من اوتى الحكم صبيا واوتى بعضهم
الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا فى الدنيا
وذلك بثلثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او
تكون امته ازكى واكثر او يكون فى ذاته افضل واظهر وفضله
فى ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه
من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف
ولايته واختصاصه وقد روى ان النبى صلى الله تعالى عليه
قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ الربع فحفظ صلى الله
تعالى عليه موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها
جرح فى نبوته او قدح فى اصطفائه وحط من رتبته ووهن

فى

فى عصمته شفقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم على امته
وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون
انا راجعا الى القائل نفسه اى لا يظن احد وان بلغ من
الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل
ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلا وان تلك
الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد فى
القسم الثالث فى هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك
الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل فى اسمائه
عليه السلام وما تضمنته من فضيلته نا ابو عمران
موسى بن ابى تليد الفقيه نا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن
نصر ثنا قاسم بن اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى قال
عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا
محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحوا الله بى الكفر وانا الحاشر
الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه الله

فى كتابه محمدا واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناه
وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل
مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد
فهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد وافضل من
حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه
لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر فى تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده
فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه
من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى امته
فى كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم فى هذين
الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع اياته فن اخر هو ان
الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذى
اتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان
يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل
لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به

احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه
السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل
من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم
حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى
ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن براء البكرى ومحمد بن سفيان
بن مجاشع ومحمد بن عمران الجعفى ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع
لهم ويقال اول من سمى محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن
اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى النبوة او يدعيها
احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا فى امره حتى تحققت
السمتان له صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما
قوله انا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ففسر فى الحديث ويكون
محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوى له من الارض
ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور
والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره
فى الحديث انه الذى محيت به سيئات من اتبعه وقوله وانا

الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي
اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه
عقب غيره من الانبياء وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي
نبي وقيل معنى على قدمي ان يحشر الناس بمشاهدتي كما قال الله
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى لهم قدم صدق عند
ربهم وقيل على قدمي اي قدامي وحولي يجتمعون الي في القيمة
وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله لي خمسة اسماء قيل انها موجودة
في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم
وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه
ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر
يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر
بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث
الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول
الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم الجامع الكامل كذا

وقع قال القاضي كذا وجدته ولم اروه واري ان صوابه قثم بالثاء
كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا
في كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا
محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى
النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد
وطه ويس والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى
الاشعري انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه باسماء فيقول
انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى
المرحمة والرحمة وقيل المتبع للنبيين وكل صحيح ان شاء الله ومعنى
المقفي معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة
فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه
بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب ويهديهم الى صراط مستقيم و
بالمؤمنين رؤوف رحيم وقد قال في صفة امته امة مرحومة
وقد قال الله تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة

لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم
وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه
السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث
به من القتال والسيف صلى الله تعالى عليه وسلم وهي
صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي
الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديث عنه
عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع
قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه
السلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته
في القرآن عدة كثيرة منه سوى ما ذكرناه كالنور والسراج
المنير والمنذر والنذير والكثير والمبشر والبشير والشاهد
والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين
وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى

والصراط

والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي
وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله
المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة
جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب
ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم
وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله
وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام
المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق
والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم
والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه
عليه السلام في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس
وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب
البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب

السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب وحطايا اى حامى
الحرم قال الهروى والخاتم والخاتم حكاه كعب الاخبار وقال
ثعلب الخاتم الذى ختم الانبياء والخاتم احسن الانبياء خلقا
وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا فى التورية
احيد روى ذلك ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اى السيف
وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به
وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذى
كان يمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الان
عند الخلفاء واما الهراوة التى وصف بها فهى فى اللغة العصا
واراها والله اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس
عنه بعصاى لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن
حينئذ الا للعرب والعمايم تيجان العرب واوصافه والقابه
وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء
الله وهو حسبى ونعم الوكيل وكانت كنيته المشهورة ابا
القاسم روى عن انس انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل

فقال

فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم فصل فى تشريف الله
تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من
صفاته العلا قال القاضى ابو الفضل وفقه الله ما احرى
هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه فى سلك مضمونها
وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية
الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه
الا عند الخوض فى الفصل الذى قبله فراينا ان نضيفه اليه
ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة
خلعها عليهم من اسمائه كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم
وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى
بكريم وقوى ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل
بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم
وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بان حلاه منها
فى كتابه العزيز على السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا
منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها

فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها فى
هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم
منها وحققه يتم النعمة باباته مالم يظهره لنا الان ويفتح غلقه
فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده
عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعة
وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى
محمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد
واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله وشق له
من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه
تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه فى كتابه بذلك
فقال بالمؤمنين رؤف الرحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين
امره والهيته بان واتان بمعنى واحد ويكون بمعنى المبين
لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم بذلك فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين

وقال

وقال وقل انى انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم
وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القران ومعناه
هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول
والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به
كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه
ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض بالانوار
ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجا
منيرا سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب
المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة
وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال
ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول
ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل
وقيل العفو وقيل العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه تعالى

الاكرم وسماه الله تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم
قيل محمد وقيل جبريل عليه السلام وقال عليه السلام
انا اكرم ولد ادم ومعانى الاسم صحيحة فى حقه صلى الله
تعالى عليه وسلم ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل
الشان الذى كل شئ دونه وقال فى النبى عليه السلام وانك
لعلى خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التوراة عن اسماعيل
وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن
اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى
العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله تعالى عليه
فى كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان
ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه
فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اما لاصلاحه الامة
بالهداية والتعليم او لقهره اعدائه او لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره ونفى عنه تعالى فى القرآن جبرية التكبر التى
لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى

الخبير

الخبير ومعناه المطلع بكنه الشئ العالم بحقيقته وقيل
معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضى
بكر بن العلا المامور بالسؤال غير النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبى عليه السلام وقال
غيره بل السائل النبى والمسؤل الله فالنبى خبير بالوجهين
المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله
من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له
فى اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم
بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من
امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق
ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل
معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى
الله تعالى عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل
من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة

وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من
قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه على ربه وتعديد
مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح
هنا بمعنى الحاكم او الفاتح ابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم
لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدى لهداية
الامة او المبدا المقدم فى الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام
كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمائه تعالى
فى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل
المثنى على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام
فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا
اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا
نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله ولئن شكرتم لازيدنكم
ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم وخصه

لمزية

لمزية منه فقال مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا
تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق
للاشياء قبل وجودها والباقى بعد فنائها وتحقيقه انه
ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء
فى الخلق واخرهم فى البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون
وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول من يدخل
الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين
واخر الرسل صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اسمائه تعالى
القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله
تعالى بذلك فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد
وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق فى الحديث الماثور

وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام الصادق
المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام
انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين وقال
عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى
العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه
في القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال
فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد ساله عن قوله
خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل
في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو
ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله تعالى
لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى
والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى
صراط مستقيم واصل الجمع من الميل وقيل من التقديم
وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم قال الله تعالى له وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى
مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى
ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن قيل هما بمعنى واحد فمعنى
المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله
الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه
وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الاخرة
من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت
الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم من
اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى
الشاهد والحافظ والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم امين
ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا وقال مطاع ثم
امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة
وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم اغتدى

بيتك المهيمن من خندف عليها تحتها النطق قيل المراد بانها النبي
قاله القتبي والامام ابو القاسم القشيري وقال الله تعالى
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اى يصدق وقال انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المؤمن ومن اسماءه تعالى القدوس ومعناه المنزه
عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه
يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس اى المطهر وروح
القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمه عليه السلام المقدس
اى المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها
كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون
مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية
ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب والذي لا نظير له
او المعز لغيره وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله اى الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة
والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله

يبشرك

يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله مبشرا ونذيرا وبشيرا
اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه
تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا
انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم
فصل قال القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى وها انا اذكر
نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال
بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من
مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد
ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه
وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به
وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف
صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات
كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم
لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك

بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى فى هذا قوله ليس كمثله شئ ولله
در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات
مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة
الواسطى رحمه الله بيانا وهو مقصودنا فقال ليس كذاته
ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا
من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون
لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة
وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضى الله تعالى
عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى رحمه الله قوله
هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل
التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهى بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير
جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد
ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه
الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم

او

او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو
المعالى الجوينى من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو
مشبه ومن اطمأن الى النفى المحض فهو معطل وان قطع بموجود
اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن
قول ذى النون المصرى حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله
فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا اخراج وعلة كل شئ
صنعه ولا علة لصنعه وما تصور فى وهمك فالله بخلافه
وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله
ليس كمثله شئ والثانى تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفى الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه
بمنه وكرمه الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات
وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضى ابو الفضل
حسب المتأمل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا

ولا لطاعن فى معجزاته فيحتاج الى نصب البراهين عليها
وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونذكر شروط
المعجز والتحدى وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع
ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته
ليكون تاكيدا فى محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانهم
ونيتنا ان نثبت فى هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته
لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح
الاسناد واكثره مما بلغ القطع به او كاد واضفنا اليها بعض
ما وقع فى مشاهير كتب الائمة فاذا تأمل المتامل المنصف
ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة
عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب
مقاله لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير
واحد فى اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذى وابن قانع
وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة جيئته لانظر اليه

فلما

فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به
القاضى الشهيد ابو على رحمه الله تعالى قال اخبرنا ابو الحسن
الصيرفى وابو الفضل بن خيرون عن ابى يعلى البغدادى
عن ابى على السنجى عن ابن محبوب عن الترمذى نا محمد بن
بشار اخبرنا عبد الوهاب الثقفى ومحمد بن جعفر وابن ابى
عدى ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابى جميلة الاعرابى
عن زرارة بن ابى اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن
ابى رمثة التيمى اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعى
ابن لى فاريته فلما رايته قلت هذا نبى الله وروى مسلم وغيره
ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن
يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد على كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع
بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه رأى

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم
شئ تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا و
سقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من
رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة وقالت انا ضامنة
لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس
بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر
وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك
عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا
النبي الامي انه لا يأمر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن
شئ الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب
فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال
نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم

يقول يكاد فطره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن
رواحه   لو لم تكن فيه ايات مبينة   لكان منظره ينبيك
بالخبر   وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة
وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة
فصل اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب
عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء
منه ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض
الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة
يبلغهم كلامه ويكون تلك الواسطة اما من غير البشر
كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم
ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل
وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب
تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي
قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه

وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والطويل فيه خارج
عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا
رحمهم الله تعالى والنبوة في لغة من همز مأخوذة من النباء
وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى
ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ
فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبأ بما
اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه
من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة
شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه
مؤتلفان واما الرسول هو المرسل ولم يأت فعول بمعنى
مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى
من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم
جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير
التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي
والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سوا واصله من الانباء

وهو

وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال
وقال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا
وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي
الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرافعة
كمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة
للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من
الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا
لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا
من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم
الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يأت به نبي
غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي
عليه الجما الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول
الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه ان الانبياء مائة الف واربعة

وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة
عشر اولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين
ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم
وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع
فلما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتلقى ما يأتيه
عن ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا
تشبيها بالوحي للنبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة
يد كاتبه ووحي الحاجب والعين سرعة اشارتها ومنه
قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي
اوماء ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي
السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء به ومنه سمي
الالهام وحيا ومنه قوله وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله
واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله

تعالى

تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما تلقيه في
قلبه دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت
به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي
على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم
عنه هو فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت
وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه
وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان
بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من
صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق
القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد
النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله
تعجيز له اعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين
النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم
برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا

منها وهو القرأن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين
ولا اكثر لان النبى قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل
العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه
بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصل
فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه
وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن
فلا مرية ولا خلاف بمجئ النبى به وظهوره من قبله واستدلاله
بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد فى
الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين فى الحجة به فهو فى نفسه
وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه
معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه وقال بعض ائمتنا
ويجرى هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلام
ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع
فيبلغه جميعها فلا مرية فى جريان معانيها على يديه ولا يختلف
مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجايب وانما خلاف المعاند

فى كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك
بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا
ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة
عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد
منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر
بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثانى
ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر
منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة
السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير
ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا فى المعنى
واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمناه وقال القاضى ابو
الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة
عنه عليه السلام معلومة بالقطع واما انشقاق القمر
فالقرأن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل

عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من
طرف كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرا الدين
ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء
المؤمنين بل يرغم بها انفه وينبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة
نبع الماء وتكثير الطعام رواه الثقاة والعدد الكثير عن الجماء
الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنه ما رواه الكافة
عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم
ان ذلك كان من موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق
وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية او غزوة تبوك وامثالها
من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من
الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم
رواه كما راه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم
المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس
هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا
عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض

اشياء

اشياء رأوها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ
بعضهم بعضا ووهمه في ذلك بما هو معلوم فهذا النوع كله
مما يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار
التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان
وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول
ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف
الطارئة واعلام نبينا هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد
مع مرور الازمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن
العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد
على اطفاء نورها الا قوة وقبولا والطاعن عليها الا حسرة
وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون
وما كان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق
لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاد
ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي اوجب قول القائل
ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة

مطالعته للاخبار و رواياتها و شغله بغير ذلك من المعارف
والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير
لم يرتب فى صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذى
ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل
عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة
وانها مدينة عظيمة و دار الامامة والخلافة واحاد من
الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم
الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل
عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن فى الصلاة للمنفرد
والامام واجزاء النية فى اول ليلة من رمضان عما
سواه وان الشافعى يرى تجديد النية كل ليلة و
الاقتصار فى المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص
فى القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية فى الوضوء و
اشتراط الولى فى النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما فى هذه
المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى

اقوالهم

اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند
ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء
الله تعالى فصل فى اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله واياك
ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة
وتحصيلها من جهة ضبط انواعها فى اربعة وجوه اولها
حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه
وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب
هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم
ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب
جعله الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة
يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب
فيخطبون بديها فى المقامات وشديد الخطب ويرتجزون
به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك

بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط
اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون
الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون
يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون
النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم
الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة
والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول
القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين
فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح
الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم
والبلاغ ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها
ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ
اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث
والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم

والنثر

والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول
وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه
ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل
مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه
وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة
رجالا واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في
الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي يتحاورون ومنازعهم
التي عليها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم
بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ اجمعين ام يقولون
افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا

وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
الاية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك
ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار
اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول
على الثانى فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى
الله تعالى عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ
ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم
ويذم الهتهم واباهم ويستبيح ماوهم وارضهم
وديارهم واموالهم وهم فى كل هذا ناكصون عن
معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب
بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا
سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف
وفى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا

وبينك

وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم
تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل
هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن
تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم
وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف
على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس
بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد
وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان
اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر
ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرء فاصدع بما تؤمر
فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرء
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا
لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى ان عمر بن الخطاب

رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على
رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من
بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه
سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرء اية من كتابكم فتأملها
فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال
الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الاية وحكي ان الاصمعي سمع كلام
جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد
هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين
وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته
غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون
القرآن من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه
اتى به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به
معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم

ضرورة

ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس
من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته
واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله
تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا
فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي
هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية
وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
الاية واشباهها من الاي بل اكثر القرآن اذا حققت
ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة
عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها
وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة
وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد
منها وكثرة المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد

القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف
في عبادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان
اية لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتيام سرده
وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت
قصصه اختلفت العبادات عنها على كثرة ترددها حتى
تكاد كل واحدة تنسى في البيان صاحبتها وتناصف في
الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها
ولا معادات لمعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه
صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب
كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليها ووقفت
مقاطع ايه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا
بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شئ منه بل حارت
فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتد والى
مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز
او شعر ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم

الوليد بن

الوليد بن المغيرة وقرء عليه القرأن رق فجاءه ابو جهل منكرا
عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما
يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين
جمع قريشا عند حضور الموسم فقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن فقال ابو جهل والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمة
ولا سجعة قالوا مجنون ولا بخنقة ولا وسوسة قالوا
فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله
رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو
بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه
ولا عقدة قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا
الا وانا اعرف به انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه
سحر مفرق بين المرء وابيه والمرء واخيه والمرء وزوجه
والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون
الناس فانزل الله في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا

الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم
قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته
والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث
مثله وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا
فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض
اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى
مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قلت فما تقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد
بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار
في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته
كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب

على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين
لفصاحتها وكلامها والى هذا ذاهب كل غير واحد من
ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز
في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول
تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
والعلم بهذا كله ضرورة ومن تفنن في علوم البلاغة
وارهف خاطره ولسانه في ادب هذه الصناعة لم يخف
عليه ما قلنا وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم
عنه فاكثرهم يقوله انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة
الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه
واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من
باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى
وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو
الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون

فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه
وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة
عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن
يأتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع
والاحتجاج بمجئ بشر مثلهم ليس من قدرة البشر لازم
وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك
بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار
والذل وكانوا من شموخ الانف واباية الضيم بحيث
لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا
فالمعارضة لو كانت قدرهم والشغل بها اهون عليهم
واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم
من هم قدرة على الكلام وقدرة في المعرفة به لجميع الانام
وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في
اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة
من نبات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم

مع

مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا
فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل
الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار
بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي
اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين
وقوله من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين
كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله الى اخر السورة
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين
ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام
وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف
الله المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من
اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام
زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له

لحافظون فكان كذلك لايكاد يعد من سعى فى تغييره وتبديل
محكمه من الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة فاجمعوا كيدهم
وحولهم وقوة اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء
شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين
فى حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله هو
الذى ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم الا اذا
الاية فكان كل ذلك ومافيه من كشف اسرار المنافقين
واليهود ومقالتهم وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك
كقوله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله
يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله من الذين
هادوا سماعون للكذب الاية وقوله من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه الى قوله وطعنا فى الدين وقد قال مبديا
ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم

ومنه

ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه
اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس
عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس
وكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار
بذلك معروفة صحيحة فصل الوجه الرابع ما انبأ به من
اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة
مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار
اهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه
فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله
بتعليم وقد علموا انه صلى الله تعالى عليه وسلم امى
لا يقرأ ولا يكتب ولا يشتغل بمدارسة ولا مثافنة
لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل
الكتاب كثيرا ما يسئلونه صلى الله تعالى عليه وسلم

عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص
الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته
واصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك
من الانبياء وبدؤ الخلق وما فى التوراة والانجيل والزبور
وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق
له من الخير ومن شقى معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن
واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم
على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم وتقريعهم بما
انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام
وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات
كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين واصحاب الكهف
وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم
عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم

ببغيهم

ببغيهم وقوله ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل
وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم
بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح
بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسدهم اياه
كاهل نجران وابن صوريا وابنى اخطب وغيرهم ومن باهت
فى ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون
فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف
بما جحده ومتواقح يلقى على صحيفته من كتابة يده ولم يؤثر ان
واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا
ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو
عن كثير الايتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه
بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة فى اعجازه

من غير هذه الوجوه اى وردت بتعجيز قوم فى قضايا و
اعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
الاية قال ابو اسحق الزجاج فى هذه الاية اعظم حجة واظهر
دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت وعلمهم
انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم
الا غص بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه
وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحى اليه اذ
لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن
الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال
ابو محمد الاصيلى من اعجب امرهم انهم لا يوجد منهم جماعة ولا
واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه
وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك
اية المباهلة من هذا المعنى حيث ورد عليه اساقفة نجران

وابو

وابو الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك
فيه من بعد الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك
ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى وانه ما لاعن
قوما نبى قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم
فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل
فى باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما فى
التى قبلها فصل ومنها الروعة التى تلحق قلوب سامعيه
واسماعهم عند سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته
لقوة حاله وانافة خطره وهى على المكذبين اعظم حتى
كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال الله
تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه
السلام ان القران صعب مستصعب على من
كرهه وهو الحكم واما المومن فلا تزال روعته به وهيبته
اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه

اليه و تصديقه به قال الله تعالى تقشعر جلود الذين يخشون
ربهم بالغيب ثم تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله و قال
لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية و يدل على ان هذا شئ
يختص به يعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
وكما روى عن نصرانى انه مر بقارئ فوقف يبكى فقيل له مم
يبكيك قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة
قبل الاسلام و بعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن
به ومنهم من كفر فحكى فى الصحيح عن جبير بن مطعم قال
سمعت النبى صلى الله تعالى عليه و سلم يقرء فى المغرب
بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شئ ام هم
الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبى ان يطير للاسلام
وفى رواية و ذلك اول ما وقر الايمان فى قلبى وعن
عتبة بن ربيعة انه كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فيما جاء به من خلاف قومه فتلى عليهم حم كتاب فصلت
الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود فامسك عتبة

بيده

بيده على فى النبى صلى الله تعالى عليه و سلم وناشده
الرحم ان يكف وفى رواية فجعل النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم يقرء وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا
عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه و رجع الى
اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم و قال
والله لقد كلمنى بكلام والله ما سمعت اذناى بمثله قط
فما دريت ما اقول له و قد حكى عن غير واحد ممن رام
معارضته انه اعتراه روعة وهيبة كف بها عن ذلك
فحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه و شرع فيه فمر بصبى
يقرء وقيل يا ارض ابلعى ماءك فرجع و محى ما عمل وقال
اشهد ان هذا لا يعارض و ما هو من كلام البشر وكان
من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ
الاندلس فى زمنه فحكى انه رام شيئا من هذا فنظر
فى سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه

على سنوالها قال فاعترتنى حشية ورقة حملتنى على التوبة
والانابة فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية
باقية لا تنعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه الاية وسائر معجزات الانبياء
انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرأن
العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه
اليوم مدة خمس مائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول
نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة
والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان
وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة
والملحد فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد فما منهم من اتى
بشئ يوثر فى معارضته ولا الف كلمتين فى مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من
ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام

ذلك

ذلك القاؤه فى العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل
وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الامة فى اعجازه وجوها
كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب
على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال
غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة
مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به
فى الخلوات ويونس بتلاوته فى الازمان وسواه من
الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث لها اصحابها لحونا
وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على
قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم القرأن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى
عبره ولا تفنى عجايبه وهو الفصل ليس بالهزل لا يشبع
منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة
هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا
قرانا عجبا يهدى الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف

لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها
احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع
فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على طرق الحجج العقليات
والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهل
الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان
ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
وقل يحييها الذي انشأها اول مرة ولو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا الى ما حكاه من علم السير وانباء الامم
والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن
الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب
من شئ وانزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شئ ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال عليه
السلام ان الله انزل هذا القرآن امرا وزاجرا وسنة

خالية

خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم
ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي
عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به
عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به
اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن
طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل
الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة
لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي
عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود
وقال فيه لا يختلف ولا يتشانا فيه نبأ الاولين والاخرين
وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد عليه السلام اني منزل
عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما
وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلوم ومنهم الحكمة وربيع القلوب
وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة

وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر
الذى هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الاية
تجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما
فى الكتب قبله التى الفاظها على الضعف منه مرات
ومنها جمعه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم
القرآن وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه
البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له يفهم
موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة
منفردة ومنها ان جعله فى حيز المنظوم الذى لم يعهد
ولم يكن فى حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس
واوعى للقلوب واسمح فى الاذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى
حفظه لمتعلميه وتقريبه على محتفظيه قال الله تعالى
ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها
الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن

ميسر

ميسر حفظه للغلمان فى اقرب مدة ومنها مشاكلة
بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتيام
اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج
من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة
الواحدة على امر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد
واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير
ذلك من فوايده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح
اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل
رونقه وتقلقلت الفاظه فتأمل اول ص وما جمع فيها
من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك
القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما
اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من
الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم
بخزى الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك
الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم على اذاهم وتسليه بكل ما تقدم
ذكره ثم اخذ فى ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا فى اوجز
كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التى انطوت
عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر فى
اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرتها الائمة لم نذكرها اكثرها
داخل فى باب بلاغته فلا تحب ان نعدفنا منفردا فى اعجازه
الا فى باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره
عنهم بعد فى خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز
الوجوه الاربعة التى ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من
خواص القرآن وعجايبه التى لا تنقضى وبالله التوفيق
فصل فى انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى
واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة
على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه اخبرنا

القاضى سراج بن عبد الله نا الاصيلى نا المروزى نا الفربرى
نا البخارى نا مسدد نا يحيى عن شعبة وسفيان
عن الاعمش عن ابراهيم عن ابى معمر عن ابن مسعود قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا وفى رواية عن
مجاهد ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض
طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود
وقال حتى رايت الجبل بين فرجتى القمر ورواه عنه مسروق
انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة
فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من
سحره ان يسحر الارض كلها فسألوا من يأتيكم من بلد
اخر هل روا هذا فأتوا فسألوا فاخبروهم انهم روا مثل
ذلك وحكى السمرقندى عن الضحاك نحوه وقال فقال
ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا ارؤا

ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم راوه منشقا فقالوا
يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن مسعود
علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود
كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر
وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي
حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين
حتى رووا حرا بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر
وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت
اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم
ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن بن عباس عبيد الله
بن عبد الله بن عتبة ورواه عن بن عمر مجاهد ورواه عن
حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران
الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة

ولا

١٢٩

ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على
اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل
الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل
الينا عن من لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت
علينا حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد
يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم
بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بينه
وبين قوم سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض
البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية
وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير
العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس
بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف
ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد
ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا
في البلاد فاكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات

بعجايب يشاهد ونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر
فى الاحيان بالليل فى السماء ولا علم عند احد منها وخرج
الطحاوى فى مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من
من طريقين ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى
اليه ورأسه فى حجر على فلم يصل العصر حتى غربت
الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اصليت العصر يا على قال لا فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك
فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت
بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء
فى خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقاة وحكى
الطحاوى ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغى لمن سبيله
العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات
النبوة وروى يونس بن بكير فى زيادة المغازى روايته عن
ابن اسحق لما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

واخبر

واخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى
تجئ قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش
ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله
فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل
نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث
فى هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من اصابعه جماعة
من الصحابة منهم جابر وانس وابن مسعود ثنا ابو اسحق
بن ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقرائتى عليه ثنا
القاضى عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا
ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى بن مالك عن اسحق
بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس بن مالك قال رأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجاءت صلاة
العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك الاناء يده وامر الناس

ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضاء
الناس حتى توضؤا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس
قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال
كم كنتم قال زهاء ثلاث مائة وفى رواية عنه وهم بالزوراء
عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس
وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت
عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن
مسعود ففى الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس معنا ماء
فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا
من معه فضل ماء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء
ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وفى الصحيح عن سالم بن ابى الجعد عن جابر عطش الناس
يوم الحديبية ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس

عندنا

عندنا ماء فى ركوتك فوضع النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال
العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا
خمس عشرة مائة وروى مثله انس عن جابر وفيه انه كان
بالحديبية وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه
فى حديث مسلم الطويل فى ذكر غزوة بواط قال قال لى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء
وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة فى عزلاء شجب فاتى
به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه وتكلم بشىء لا ادرى
ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين
يديه وذكر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده
فى الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله
قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة
فاستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء
حتى رووا فقلت هل بقى احد له حاجة فرفع رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأ وعن
الشعبي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض
اسفاره باداوة ماء وقال ما معنا يا رسول الله ماء
غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها غمسها
في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن ثم يقومون
قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا
في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى
المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على
باطل فهؤلاء قد رووا هذا وشاعوه ونسبوا حضور
الجما الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به
عنهم انهم وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم
فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته
وابتعاثه بمسه ودعوته ما روى مالك في الموطأ
عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين

وهي



وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين
بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء
كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق
من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك
يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ
جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه
اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها
لا يروي خمسين شاة فنزحناها فلم يترك فيها قطرة
فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها
قال البراء واتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة فاما
دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم
وفي غيرها من الروايتين في هذه القصة من طريق ابن
شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في
قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن

وعن ابى قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض اسفاره
فدعا بالميضاة فجعلها فى ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم
نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء
معهم فخيل الى انها كما اخذها منى وكانوا اثنين وسبعين
رجلاً وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبرى فى حديث
ابى قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم خرج بهم مدا لاهل مؤتة عند ما بلغه
قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم
يفقدون الماء فى غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم
زهاء ثلاثمائة وفى كتاب مسلم انه قال لابى قتادة
احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه
ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه عطش فى بعض اسفارهم

فوجه

فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان
كذا وكذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها فاتيا
بها الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل فى اناء من مزادتيها
وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء فى المزادتين
ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئا الا ملؤه قال عمران بن حصين ويخيل الى انهما لم
تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ
ثوبها وقال اذهبى فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله
سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبى الله
صلى الله تعالى عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة
فيها نطفة فافرغها فى قدح فتوضأ فكلنا ندغفقه
دغفقة اربع عشرة مائة وفى حديث عمر فى جيش العسرة
وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فى الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت

السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ولم يجاوز
العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى
الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث
في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء
وما جانسه فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته
ودعائه ثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري
ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن
الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسين بن اعين ثنا
معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق
شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله
لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور

واطعامه

واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين او سبعين
رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي
ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول
وحديث جابر في اطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم
يوم الخندق الف رجل من صاع من شعير وعناق وقال
جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه
عن جابر سعيد بن ميناء وايمن ثابت مثله عن رجل
من الانصار وامراته ولم يسمهما وجئ بملا الكف فجعل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها في الاناء
ما شاء الله فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان
ذلك قد امتلأ بمن قدم معه عليه السلام لذلك
وبقي ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي
ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ولابى بكر من الطعام ذهاء ما يكفيهما فقال له النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف
الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه
وما خرج احد منهم حتى تركوه وما خرج احد منهم حتى
اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامى مائة وثمانون
رجلا وعن سمرة بن جندب اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم
قوم ويقعد قوم اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن
ابن ابى بكر كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين
ومائة وذكر فى الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت
شاة فشوى سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين
والمائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها
قصعتين فاكلنا منها اجمعون وفضل فى القصعتين فحملته
على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابى عمرة الانصارى

عن

عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابى هريرة وعمر بن
الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد
فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم
الذى اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته
كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقى فى الجيش
وعاء الا ملؤه وبقى منه وعن ابى هريرة قال امرنى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم
حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا
وفرغنا وهى مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع
وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه جمع النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين
منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم
مدا من الطعام فاكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا
بعس فشربوا حتى رووا وبقى كانه لم يشرب وقال انس

ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان
يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة
وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه
وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي
التور نحوا مما كان وكان القوم احدا او اثنين وسبعين
وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم اكثر ثم
حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن
ابي طالب ان فاطمة طبخت قدر الغدائها ووجهت علينا
الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليتغدا معهما فامرها
فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم غرفت له عليه
السلام ولعلي ثم انها رفعت القدر وانها لتغيض قالت
فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود
اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا
اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل
الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن

رواية

رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه
الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث
جابر في دين ابيه بعد موته وكان بذل لغرماء ابيه اصل
ماله فلم يقبلوه ولم يكن في تمرها سنين كفاف دينهم فجاء
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان امره بجذها وجعلها
بيادر في اصولها فمشى فيها ودعى فاوفى منه جابر غرما ابيه
وفضل مثل ما كانوا يجذون في كل سنة وفي رواية مثل
ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهودا فعجبوا من ذلك
وقال ابو هريرة واصاب الناس مخمصة فقال لي رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من شئ قلت نعم
شئ من التمر في المزود قال فأتني به فادخل يده واخرج
قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا
حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا
قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه
فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر وعمر الى ان
قتل عثمان فانتهب منى فذهب وفى رواية فقد حملت من
ذلك التمر كذا وكذا من وسق فى سبيل الله عز وجل وذكر
مثل هذه الحكاية فى غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة
تمرة وعن ايضا حديث ابى هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد لبنا فى قدح قد اهدى
اليه وامره ان يدعوا اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن
فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم
وذكر امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له ان يسقيهم
فجعلت اعطى الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الاخر
حتى روى جميعهم قال فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب فما زال يقولها واشرب حتى قلت والذى
بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله و
سمى وشرب الفضلة وفى حديث خالد بن العزى انه لجزد

للنبى

للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد
كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل
فضلتها فى دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله
فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابى ومن حديث حديث
الاخرى فى انكاح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى فاطمة
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا بقصعة من
اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال
فاتيته بذلك فطعن فى راسها ثم ادخل الناس رفقة
يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر
بحملها الى ازواجه فقال كلن واطعمن من غشيكن
وفى حديث انس تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فصنعت امى ام سليم حيسا فجعلته فى تور فذهب
به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وادع
لى فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته

لا دعوته وذكر انهم كانوا زها ثلاث مائة حتى سلوا الصفة
والحجرة فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخلفوا
عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على
الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى
شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت
كان ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلثة
في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة
عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يتعد
بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهورة لا يمكن
التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته

ثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن
ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم
البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي
وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله

صلى

صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال
يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال لك الى خير قال وما هو
قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة
السمرة وهي بشاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت
الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك
قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها
فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي
مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك
الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال
لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها

قال فاذن لى اقبل يديك ورجليك فاذن له وفى الصحيح
فى حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئا يستتر به
فاذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها
فقال انقادى على باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش
الذى يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى
اذا كان بالنصف مما بينهما قال التئما على باذن الله عز وجل
فالتأمتا وفى رواية اخرى قال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول
لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحقى بصاحبتك
حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس
خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسى فالتفت فاذا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا والشجرتان
قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا

يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غازيه هل
يعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقلت ان الوادى ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى
من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال
انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يامركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذى
بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن
والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى
حاجته قال لى قل لهن يفترقن حتى عدن الى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابة كنت مع رسول الله صلى الله تعالى
فى مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين
فانضمتا وفى رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفى
مثله فى شجرتين وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى

تعالى عليه وسلم مثله في غزوة حنين وعن يعلى بن مرة
وهو ابن سبابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة او شجرة جاءت
فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي وفي حديث
عبد الله بن مسعود اذنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود
في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة
تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمرو
بريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد
وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم
قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم
من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة
حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار

في

في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة
فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين
الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث
انس ان جبريل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وراه
حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله تعالى
عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك
الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها
فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها
جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة
وذكر مثله وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب
قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة
دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت
وعن الحسن انه عليه السلام شكا الى ربه من قومه
وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله

اليه ان ائت وادى كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك
ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه
ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب
علمت ان لا مخافة على ونحو منه عن عمر وقال فيه ادنى اية
لا ابالى من كذبنى بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى
الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابى ارايت ان دعوت هذا
العذق من هذه النخلة اتشهد انى رسول الله قال نعم فدعاه فجعل
ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى
وقال هذا حديث صحيح فصل فى قصة حنين الجذع ويعضد
هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو فى نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من
الصحابة بضعة عشر منهم ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس
بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن
سعد وابو سعيد الخدرى وبريدة وام سلمة والمطلب
بن ابى وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذى

وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد
مسقوفا على جذوع نخل فكان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر
سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفى رواية انس
حتى ارتج المسجد بخواره وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس
لما راوا به وفى رواية وابن المطلب حتى تصدع وانشق حتى
جاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت
زاد غيره فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا بكا
لما فقد من الذكر وزاده غيره والذى نفسى بيده لو لم التزمه
لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فدفن تحت المنبر هكذا فى حديث المطلب وسهل بن سعد
واسحق عن انس وفى بعض الروايات عن سهل فدفنت
تحت منبره او جعلت فى السقف وفى حديث ابى وكان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى صلى اليه فلما هدم

المسجد اخذه ابى فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد
رفانا وذكر الاسفرائنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى
مكانه وفى حديث بريدة فقال يعنى النبى صلى الله تعالى عليه
ان شئت اردك الى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك
عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت
اغرسك فى الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسنى
فى الجنة فياكل منى اولياء الله واكون فى مكان لا ابلى فيه
فسمعه من يليه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت
ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث
بهذا بكى فقال يا عباد الله الخشب يحن الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق
ان تشتاقوا الى لقائه وعن جابر ويقال عبد الله بن حفص
ويقال حفص بن عبيد الله وايمن وابو نضرة وابن المسيب

وسعيد بن

وسعيد بن ابى كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس
بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابى طلحة ورواه عن ابن
عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابى
سعيد وعماد بن ابى عماد عن ابن عباس وابو حازم وعباس
بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن
المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل ابن ابى عن ابيه
قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه فهذا حديث كما تراه
خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم
من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد
يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب
فصل ومثل هذا فى سائر الجمادات ثنا القاضى ابو عبد الله
محمد بن عيسى التميمى ثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن المرابط
ثنا المهلب ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسى ثنا المروزى
ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو احمد
الزبيرى قال ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة

عن عبد الله قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي
غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال
انس اخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى
سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا
فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر
وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول الله تعالى عليه وسلم
فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال
له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه
عليه السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه
الحجر الاسود وعن عايشة لما استقبلني جبريل بالرسالة
جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول
الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل

عليه

عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم
بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب
وحوايط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان
وعنب فاكل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسبح وعن
انس صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان
احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه علي وطلحة
والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في
حراء ايضا عن عثمان وقال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم
وزاد عبد الرحمن بن عوف وسعد قال ونسيت الاثنين
وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد
نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط
يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاني اخاف ان
يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله

وروى ابن عمران النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرء على المنبر
وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار
انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن
عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثماية صنم
مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير
بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق
الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه
الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن
مسعود قال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ
الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء
امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد
فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين
فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق حجر ولا شجر الا خر

ساجدا

ساجدا له ولا يسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما
دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس
مال الفيء اليه فصل في الايات في ضروب الحيوانات ثنا
سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي
يونس ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا ثنا ابو العلا احمد بن عمران ثنا محمد بن
فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عايشة قالت كان
عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قر وثبت مكانه فلم يجيء ولم يذهب واذا خرج رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب وروى عن
عمران النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل من اصحابه
اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال
واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه
بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين
يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافا القيمة
قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى
البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب
من كذبك فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة كلام الذئب
المشهورة عن ابى سعيد الخدرى بينا راع يرعى غنما له عرض
الذئب لشاة منها فاخذها الراعى منه فاقعى الذئب وقال
للراعى الا تتقى الله حلت بينى وبين رزقى قال الراعى العجب
من ذئب يتكلم كلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب
من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانباء
ما قد سبق فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فاخبره فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قم فحدثهم
ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفى بعضه طول وروى
حديث الذئب عن ابى هريرة وفى بعض الطرق عن ابى هريرة

فقال

فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث
الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة
واشرف اهلها على اصحابه ينظرون اقبالهم وما بينك وبينه
الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله قال الراعى من لى بغنمى
قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فسلم الرجل اليه غنمه ومضى
وذكر قصته واسلامه ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح الراعى
للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب
القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن
الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسببا سلامه
بمثل حديث ابى سعيد وقد روى بن وهب مثل هذا انه جرى
لابى سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه
اخذ ظبيا فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك
فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم

الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى
لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر
وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم فاذا طاير سقط فقال يا عباس
اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب في نفسك ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت
جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن
رجل اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وامن به وهو على
بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول
الله كيف لي الغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي
عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل
شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر ورجل
من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر

نحن

نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له
وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن
عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل
احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك
بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني
رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن
ابي اوفى وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم سألهم عن شأنه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه
وفي رواية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم انه شكى
كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم
ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا
نعم وقد روى في قصة العضبا وكلامها النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها

فى الرعى وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم
تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائنى وروى
بن وهب ان حمام مكة اظلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن انس وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة
الغار امر الله شجرة فنبتت بحاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفى حديث اخر ان
العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا ذلك
قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبى صلى الله
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات خمس
او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ
وعن ام سلمة كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء
فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادنى
هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك فاطلقنى حتى اذهب

فارضعهما وارجع قال وتفعلين ذلك قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابى وقال يا رسول
لك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو
فى الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ومن هذا الباب ما روى من تسخير الاسد لسفينة مولى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ
باليمن فلقى الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر
فى منصرفه مثل ذلك وفى رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت
به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزنى بمنكبه حتى اقامنى
عليه واخذ عليه السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس
بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقى ذلك الاثر
فى نسلها بعد وما روى عن ابراهيم بن حماد بسنده من
كلام الحمار الذى اصابه بخيبر وقال له اسمى يزيد بن شهاب

فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعفور ٤ وانه كان
يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم
وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا
وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي
الغزالتي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عسكره
وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة
فحلبها رسول الله تعالى عليه وسلم فاروى الجند ثم قال
لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه
عليه السلام وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح
بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك
عضوا حتى صلى صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث
في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك

وما

وما وقع في كتب الائمة ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله للملوك
فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم
بلسان القوم الذين بعثه اليهم فصل في احياء الموتى وكلامهم
وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة ثنا ابو
الوليد هشام بن احمد الفقيه بقرائتي عليه والقاضي ابو
الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
وغير واحد سماعا واذنا قالوا ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر
الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد
ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد
هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان
يهودية اهدت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة
مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها
مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك

على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك ما صنعت وان كنت
ملكا ارحت الناس منك قال فامر بقتلها فقتلت وقد روى
هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان
الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها فقال لا وكذلك
روى عن ابي هريرة ومن رواية غير وهب قال فما عرض لها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال
ولم يعاقبها وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن قالت اني مسمومة
وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث
الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال في وجعه الذي مات
فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري
وحكى ابن اسحق ان كان الناس ليرون ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من
النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا
اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وروى
الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في اخره انه
بسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر
منا احدا قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه وقد
خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة
وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب
فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة
او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها
منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ
ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله تعالى واخرون ذهبوا
الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا
عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل
الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل
وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة

عن الكلام النفسي فلابد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد
كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي
الفرق في حالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات
الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف
والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال
ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها
من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم
بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية
شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة
اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن
عطية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بصبي قد شب
لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض
بن معيقيب رايت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عجبا جئ بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راوية وفيه فقال

النبي صلى الله

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك
اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن
ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية
له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها
يا فلانة اجيبني باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما
قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس
ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فقالت مات
ابني قلنا نعم فسجيناه وعزيناها قالت اللهم ان كنت تعلم
اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة
فلا تحملني على هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن
وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن عبيد الله
الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان
قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد

رسول الله ابو بكر الصديق وعمر الشهيد عثمان البر الرحيم
فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن
خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي فسمعوه
بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا
فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر
وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة
الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء المرضى وذوي
العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه
وقرأته على غيره قال ثنا ابو اسحق الحبال قال ثنا ابو محمد بن
النحاس ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد
البكائي عن محمد بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن
قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا
وقال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به

وقد

وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن
النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة
قتادة وعاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن
قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق
على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب
علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى
قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال
فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال اللهم اني اسألك
واتوجه اليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك
الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال
فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها

ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى انه قد هزى به فاتاه
بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب
بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا
يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في عينيه فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن
ثمانين سنة ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرئ وتفل على
شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة
ابن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين
اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت
وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ
مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم
اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد

وقطع

١٦٢

وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجاء يحمل يده
فبصق عليها رسول الله صلى الله تعالى وسلم والصقها
فلصقت رواه ابن وهب وعن روايته ايضا ان خبيب بن
اساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امرأة
من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه
وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به
فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن
عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة
فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فسعى وانكفأت القدر
على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له
وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي
سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه

حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته جارية طعاما وهو
يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت
انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن
يسئل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من
الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة اشد حياء منها فصل في
اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا باب واسع
جدا واجابة دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة
بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء
في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده ثنا
ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل
ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة
عن انس قال قالت امي ام سليم يا رسول الله خادمك
انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما

اتيته

آتيته من رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان
ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي
رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا
ولا ولد له ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال
عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا
وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس
حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن
اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه
طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا
بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق
يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير
وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتا
بها واحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة
ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على

احد الا استجيب له ودعى بعز الاسلام بعمر او بابي جهل
فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم
عمر واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسئله عمر الدعاء
فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعى
في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا المطر فدعا فصحوا وقال
للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية
فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى
وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعى لابن عباس
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمى بعد الحبر وترجمان
القرآن ودعى لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه
فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعى للمقداد بالبركة فكانت
عنده غرائر من المال ودعى بمثله لعروة بن ابي الجعد قال
فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا
وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه
ودعى لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره

فمات

فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة
وروى مثل هذا الغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاء بها
اعصار ريح فردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا
لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف
في الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعى
لفاطمة ابنته الله لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسئله
الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين
عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف
سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمى ذا النور ودعى
على مضر فقحطوا حتى استعطفته قريش ودعى لهم فسقوا
ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له
باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا
على صبي قطع عليه الصلوة ان يقطع الله اثره فاقعد
وقال لرجل رآه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع
فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة

ابن ابى لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وقال لامرأة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود فى دعائه على قريش حين وضعوا السلا
على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم فقال فلقد
رايتهم يوم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابى العاص وكان
يختلج بوجهه ويغمز عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى
لا قراة فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ورى
فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة
والصد جانب الوادى وجحد رجل بيع فرس وهى التى شهد
فيها خزيمة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل وقال
اللهم ان كان فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها
اى رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل فى بركاته
فى كراماته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره ثنا
احمد بن محمد ثنا ابو ذر الهروى اجازة ثنا القاضى ابو على

سماعا

سماعا والقاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما
قالوا ثنا ابو الوليد القاضى ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو
اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا يزيد
بن ذريع ثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل
المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه
فرسا لابى طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره
بطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى
ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى ما كان يملك
زمامه وصنع مثل ذلك لفرس لجعيل الاشجعى خفقها
بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع
من بطنها باثنى عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره فى
قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق
النصر وفى الصحيح عن اسماء بنت ابى بكر الصديق انها
اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى
بها وثنا القاضى ابو على عن شيخه ابو القاسم بن المأمون
قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها
واخذ جهجاه الغفارى القضيب من يد عثمان ليكسره على
ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات
قبل الحول وسكب من فضل وضوئه فى بئر قبا فما نزفت بعد
وبصق فى بئر كانت فى دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب
منها ومر على ماء فسئل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه
ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتى بدلو من
ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن
والحسين لسانه فمصاه وكان يبكيان عطشا فسكتا وكان
لام مالك عكة تهدى فيها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
سمنا فامرها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا تعصرها
ثم دفعها اليها فاذا هى مملوءة سمنا فياتيها بنوها فيسئلونها

الادم

الادم وليس عندهم شئ فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت
تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل فى افواه الصبيان
المراضع فيجزيهم ربعة الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه
وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية
يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من
ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده الا واحدة
غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وردها فاخذت وفى كتاب البزار
فاطعم النخل من عامه الا تلك الواحدة فقلعها رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها فاطعمت من
عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد
ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية
وبقى عنده مثل ما اعطاهم وفى حديث حنش بن عقيل
سقانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة
من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد

سبعها اذا جعت ورينها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت
واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة
مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين
يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى تخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له
العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج
ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين
انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل
القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ولم يزل عنده يشهد به
المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف
يسمى العون ودفعه لعبد بن جحش يوم احد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فعاد في يده سيفا ومنه بركته
في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام
معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها

فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء
ما بعد ان اوكاه ودعى فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا
فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن
سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد وبارك فمات
وهو ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص عن
غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب على طيب نسائه لان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيده على بطنه
وظهره وسلت الدم عن وجه فاعل بن عمرو وكان جرح
يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح
على رأس قيس بن يزيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة
سنة ورأسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود وكان
يدعى الاغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني
ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه

قتادة بن ملحان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما
ينظر في المرآة ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبارك
عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت
ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من
الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى
شعره وروى مثله في خبر المطلب بن قبالة وعلى غير واحد
من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا واتاه رجل به ادرة
فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيه ففعل فبرئ وعن
طاووس لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحد به
مس فصك في صدره الا ذهب المس والمس الجنون ومج
في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ
قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال
شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا عن اعينهم

وشكى

وشكى اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف
بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه
في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان
ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم
ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير
وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما
فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون
والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف
غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع
الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها
على الاطلاع على الغيب ثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد
الفهري اجازة وقراته على غيره قال ابو بكر ثنا ابو علي
التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود
ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن ابي
وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك
الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه
من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء
فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه
ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله
ما ترك رسول الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة الى ان
تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه
لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يحرك طاير
جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل
الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله تعالى عليه
وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة
وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن
حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله
على امته وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي

علي

علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما تحدث بينهم
من الفتون والاهواء والاختلاف وسلوك سبل من تقدمهم
وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة
وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح
في اخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون
بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير
منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات
فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم
على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى
لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر
وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان
وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب
من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى مشارقها

ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها وكذلك
كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى
المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراه وذلك ما لم تملكه
امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال من ذلك
وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
ذهب بن المديني الى انهم العرب لانهم مختصون بالسقي
بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد
ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية
ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله
واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية
معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج
ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا
وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم
وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي

لحيته

لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة
واعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة
ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو
يقرأ المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون
خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان
الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح
كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير
وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها الى
البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب
معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل
لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من
اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة
بن جندب وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة بن جندب اخرهم موتا هرم
وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل

سلوا زوجه عنه فانی رأیت الملئکة تغسله فسالوها
فقالت خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعید
فوجدنا راسه یقطر ماء وفی مستدرك الحاکم ان حمزة رضی
الله تعالی عنه غسلته الملئکة ایضا وقال الخلافة فی قریش
ولن یزال هذا الامر فی قریش ما اقاموا الدین وقال سیکون
فی ثقیف کذاب ومبیر فرأوهما الحجاج والمختار وان مسلیمة
یعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان
الخلافة بعده ثلاثون ثم تکون ملکا فکانت کذلك بمدة
الحسن بن علی وقال ان هذا الامر بدء نبوة ورحمة ثم یکون
رحمة وخلافة ثم یکون ملکا عضوضا ثم یکون عتوا وجبروتا
وفسادا فی الامة واخبر بشان اویس القرنی وبامراء
یؤخرون الصلوة عن اوقاتها وسیکون فی امته ثلثون
کذابا اخرهم الدجال الکذاب فیهم اربع نسوة وفی حدیث
اخر ثلاثون دجالا کذابا اخرهم الدجال الکذاب کلهم
یکذب علی الله ورسوله وقال یوشك ان یکثر فیکم العجم

یاکلون

یاکلون فیئکم ویضربون رقابکم ولا تقوم الساعة حتی
یسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خیرکم
قرنی ثم الذی یلونهم ثم الذین یلونهم ثم یاتی بعد ذلك
قوم یشهدون ولا یستشهدون ویخونون ولا یؤتمنون
وینذرون ولا یوفون وقال لا یاتی زمان الا والذی
بعده شر منه وقال هلاك امتی علی یدی اغلمة من قریش
وقال ابو هریرة راویه لو شئت سمیتهم لکم بنو فلان وبنو
فلان واخبر بظهور القدریة والرافضة وسب اخر هذه
الامة اولها وقلة الانصار حتی یکونوا کالملح فی الطعام
فلم یزل امرهم یتبدد حتی لم یبق منهم جماعة وانهم سیلقون
بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذی
فیهم وان سیماهم التحلیق ویری رعاء الغنم رؤس الناس
والعراة الحفاة یتبارون فی البنیان وان تلد الامة ربتها
وان قریشا والاحزاب لا یغزونه ابدا وانه یغزوهم واخبر
بالموتان الذی یکون بعد فتح بیت المقدس وما وعد من

سكنى البصرة وانهم يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة وان
الدين لوكان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس
وهاجت ريح فى غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس
احدكم فى النار اعظم من احد قال ابوهريرة فذهب القوم
يعنى ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم
بالذى غل خرزا من خرز يهود فوجد فى رحله وبالذى غل
الشملة وحيث هى وناقته وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها
وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان
حين سارة وشارطه على قتل النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فلما جاء عمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا
لقتله واطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر
والسر اسلم واخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل
بعد ان كتمه فقال ما علمه غيرى وغيرها فاسلم واعلم انه
سيقتل ابى بن خلف وفى عتبة بن ابى لهب انه ياكله كلب

وعن

وعن مصارع اهل بدر فكان وقال فى الحسن ان ابنى
هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك
تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون
واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر ا
وازيد وبموت النجاشى يوم مات وهو فى ارضه واخبر
فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى ذلك اليوم فلما حقق
فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده
فى المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال
اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه
وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه لحوقا به
اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر
بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه
وقال فى زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة
فقطعت يده فى الجهاد وقال فى الذين كانوا معه على حراء
اثبت فانما عليك نبى وصديق وشهيد فقتل على وعمر وعثمان

وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست
سواري كسرى فلما اتي بهما لعمر البسهما سراقة اياه وقال الحمد
الله الذي سلبهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصراة يجبي اليها خزاين الارض يخسف بها يعني
بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد
هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة
حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهل بن عمرو
وعسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة
مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال
لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده تصيد البقر فوجدت
هذه الامور كلها في حياته وبعد مماته كما قال عليه السلام
الى ما اخبر به جلساءه عن اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه
من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى
ان بعضهم كان يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن

عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة
السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشاقة في جف
طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان وكان كما قال ووجد
على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم
التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها
ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش
بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من
عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم
بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث
التي تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله
عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب ظهور الملحمة
وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة
وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا
الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده

وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها
في الصحيح وعند الائمة فصل في عصمة الله تعالى له من الناس
وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس
وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله
بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداء المشركين وقيل غير هذا
وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا
الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه
والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا ثنا
ابو الحسين الصيرفي قال ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو
علي السنجي ثنا ابو العباس المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ
الترمذي ثنا عبد الله بن حميد ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا
الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق
عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم راسه من القبة

فقال

فقال لهم ايها الناس انصرفوا عني فقد عصمني ربي عز وجل
وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل
منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت
يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى
سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في
الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى
قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل
هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه
لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد
روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الرجل
الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له
اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل

ابيض طويل رفع فى صدرى فوقعت لظهرى وسقط السيف
من يدى فعلمت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزل يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم الاية وفى رواية الخطاب ان غورث بن الحارث
المحاربى اراد ان يفتك بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فلم يشعر به الا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال
اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها
بين كتفيه وندر سيفه من يده والزلخة وجع الظهر وقيل
فى قصة غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت
هذه الاية استلقى وقال من يشاء فليخذلنى وذكر عبد بن
حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهى جمر على طريق
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانما يطأها
كثيبا اهيل وذكر بن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا

ابى لهب ذكرها بما ذكره الله مع زوجها من الذم اتت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه
ابو بكر وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا
ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
فقالت يا ابا بكر ان صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى والله
لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابى العاص
تواعدنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا رأيناه
سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقى بتهامة احد فوقعنا مغشيا
علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا
ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت
بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة
قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له
فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب
ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما

اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته
فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب
على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم له في الغار
بما هيأ الله له من الايات ومن العنكبوت الذى نسج عليه
حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم به
وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت
حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت
هناك الحمام وقصة مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة
وقد جعلت قريش فيه وفي ابى بكر الصديق الجعايل فانذر
به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوايم فرسه فخر عنها
واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى
سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت
وابو بكر يلتفت فقال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتينا
فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانيه الى ركبتيها فخر عنها فزجرها

فنهضت

فنهضت ولقوايمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امانا كتبه بن فهيرة وقيل
ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم
ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما على فادعوا لى فنجا
ووقع فى نفسه ظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى
خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما
ورد مكة ضرب الله على قلبه فما يدرى ما يصنع او نسى
ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر بن اسحق
وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل
يرجع القهقرى الى خلفه ثم ساله ان يدعو له ففعل
فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف
لئن راه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض له
دونه فحل ما رايت مثله قط هم بى ان ياكلنى فقال النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر
السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى
نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا الى الايتين ومن ذلك ما ذكره بن اسحق في قصة اذ خرج
الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى بعض جدار اطامهم فانبعث
عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم
وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي
انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين
قتل عمرو بن امية الضمري فقال له حيي بن اخطب اجلس
يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي

معهم

معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بذلك فقام كانه يريد حاجة حتى دخل المدينة وذكر اهل
التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد
قريشا لئن راى محمدا يصلي ليطان رقبته فلما صلى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى
هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسال فقال لما
دنوت منه اشرفت على خندق مملوءنارا كدت اهوي
فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملات الارض
فقال عليه السلام تلك الملئكة لو دنا لاختطفته عضوا
عضوا ثم انزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلا ان
الانسان ليطغى الى اخر السورة وروي ان شيبة بن عثمان
الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال
اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من
خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع
الى شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد عانى فوضع يده على صدري
وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال
لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي
ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة
بن عمر اردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح
وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم
قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي
ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها
حتى ما خلق الله شيئا احب منه الي وعن مشهور ذلك
خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل
عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في
ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني
وبينه افاضربك وعن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود
والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم

وحضوهم

وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره وعز
ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه السلام
فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من
المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح
الدنيا والدين ومعرفته من امور شرايعه وقوانين دينه
وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله
وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية
من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي
سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم
واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين
بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم
بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتوا على لغات العرب
وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحاتها
والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها

والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة
والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتعبير للمشكل
الى تمهيد قواعد الشرع الذى لا تناقض فيه ولا تجادل مع اشتمال
شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شئ
مستحسن مفصل لم ينكر فيه ملحد ذو عقل سليم شيئا
الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية
اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من
الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من
المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى
الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والفرائض
والعبادة والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ
اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا
فى علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهى على
رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث

بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب
الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة
وما روى عنه فى حديث ابى هريرة من قوله المعدة حوض البدن
والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه
لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطنى وقوله خير
ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى وخير الحجامة
يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفى العود
الهندى سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن ادم وعاء شرا
من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب
وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ ارجل هو او امرأة
وارض فقال رجل ولد عشرة بنا من منهم ستة وتشأم
منهم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه فى نسب قضاعة
وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله
عما اختلفوا فيه من ذلك قوله حمير رأس العرب ونابها
ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان

عار بها وذرونها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئة يوم
خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض زواياه سواء
وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون
على اللسان والف وخمس مائة في الميزان وقوله وهو بموضع
نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة
وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه
ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى
قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها
كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث
الاخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه
السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق
السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق

علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه عليه السلام بلغات
العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على
بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه الكثير من لغات الامم
كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله
ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب
درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم
بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس
والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل
كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرء ولا عرف بصحبة من
هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من
هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما
كنت تتلوا من قبله من كتاب الاية انما كانت غاية معارف
العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما
حصل لهم ذلك بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علم

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سبيل لجحد الملحد لشيء
مما ذكرناه، ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما قصصنا الا قولهم
اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما
قالوا مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان
او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير
من القرآن وظهور ما لا يتعدد من الآيات واما الرومي
فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم
الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما
اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه
ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم قد كان سلمان او بلعام الرومي
او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم
يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل

ما كان

ما كان يجيء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهل عرف
واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ
على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى
عدوه فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج
به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من
اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن
قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال
انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه
على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او
سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل
فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة
عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة
من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان
هذا بعد هذا كله لكان مجيء ما اتى به من معجزات القرآن
قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر

فصل ومن خصائصه عليه السلام وكراماته وباهر اياته

انباؤه مع الملئكة والجن وامداد الله له بالملئكة وطاعة

الجن ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا

عليه فان الله هو مولاه وجبريل الاية وقال اذ يوحى ربك

الى الملئكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون

ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملئكة

مردفين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون

القران ثنا سفيان بن العاصى الفقيه سماعى عليه ثنا

ابو الليث السمرقندى ثنا عبد الغافر الفارسى ثنا ابو احمد

الجلودى ثنا ابن سفيان ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابى ثنا

شعبة عن سليمان ثنا الشيبانى سمع زر بن حبيش عن

عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال رأى

جبريل فى صورته له ستمائة جناح والخبر فى محادثته مع

جبريل واسرافيل وغيرهم من الملئكة وما شاهده

من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور

وقد

وقد راهم بحضرته جماعة فى مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل

عليه السلام فى صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان

ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل فى صورة

دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل

فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد

وسمع بعضهم زجر الملئكة خيلها يوم بدر وبعضهم

رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى

ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل

بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شئ وقد كانت

الملئكة تصافح عمران بن الحصين وارى النبى صلى

الله تعالى عليه حمزة جبريل عليه السلام فى الكعبة

فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة

الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن

سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك

على صورته فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له

نقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه
ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم اذ اقبل شيخ في يده عصى فسلم على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه السلام وقال
نغمة الجن من انت قال انا الهامة بن الهيم بن لاقيس بن
ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القران وذكر
الواقدي قتل خالد بن الوليد عند هدمه العزى للسوداء التي
خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له تلك العزى
وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع
على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه
الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت
دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد

من بعدي الاية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع فصل
ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به
الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب
من صفته امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين
كتفيه وما يوجد في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوي وسفيان
بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن
وغيرهم وما عرف به من امره زيد عمرو بن نفيل دورقة
بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك
في التورية والانجيل مما جمعه العلماء وتبينوه ونقله عنها
ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين
ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا
ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف
الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة

واسافقة نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد
اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورؤساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحب وابن
صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا
وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء
على الشقا والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع اليهود
والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج
عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك
وكتمانه ولبهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة
على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم
من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره
عليهم اهون من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ
القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
الى ما انذر به من الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح
وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجدل بن جدل الكندي

وابن خلصة الدوسي وسعد ابن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان
ومن لا تنعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح
النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة
والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم
بسبب ذلك معلوم مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر من
الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضرها من العجايب
وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء
وما راته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك
ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته
حتى ما تنظر الا النور وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف
لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول
رحمه الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى
قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئره من بركته

ودرود لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه
وحسن نشاته وماجرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج
ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار
فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابى
طالب واله وهو صغير شبعوا وروا فاذا غاب فاكلوا فى
غيبته لم يشبعوا وكان ساير ولد ابى طالب يصبحون شعثا
ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا وقالت
ام ايمن حاضنته ما رايته صلى الله تعالى عليه وسلم شكا
جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء
بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع
وما نشاء عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية
وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى فى ستره فى الخبر المشهور
عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه
الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره ليجعله فقال
له عمه ما بالك قال انى نهيت عن التعرى ومن ذلك اظلال الله له

بالغمام

بالغمام فى سفره وفى رواية ان خديجة رضى الله تعالى عنها و
نسائها رايته لما قدم وملكان يظلاله فذكرت ذلك لميسرة
فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد روى انه نزل
فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب
ما حولها واينعت هى فاشرقت وتدلت اغصانها عليه بمحضر
من رآه وميل فى الشجرة اليه فى الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر من
انه كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا
وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك
تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله
وان قبره بالمدينة فى بيته وان بين بيته وبين منبره روضة
من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث
الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملئكة على جسده
على ما رويناه فى بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستأذن
على غيره قبله ونداتهم الذى سمعوه الا تنزعوا القميص عنه عند
غسله وما روى من تعزية الخضر والملئكة اهل بيته عند موته

الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركته فى حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته فصل قال
القاضى ابو الفضل رحمه الله قد اتينا فى هذا الباب على نكت
من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة فى واحدة
منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا
من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير
الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما
ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد فى جمهورها طلبا
للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى ان يكون ديوانا
جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم اظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين كثرتها
وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها
وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب
ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله
تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز

فيه

فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر
او اية فى قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف
كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة
وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى
فأتوا بسورة مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا
من نظر وتحقيق يطول بسطه فاذا كان هذا ففى القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة
ونيف على عدد بعض وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر
عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر
ازيد من سبعة الاف جزؤ كل واحد منها معجز فى نفسه ثم
اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار
فى كل جزؤ من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا
الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب
فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء
من الغيب كل خبر منها فى نفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى
ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها توجب التضعيف هذا

في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر
براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه
السلام في هذه الابواب وعن ما دل على امره مما اشرنا الى
جملة يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى
الله تعالى عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدرهم اهل
زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى
غاية علم اهله السحر بعث اليهم بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم
وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب
واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم
ما لا يحتسبون عليه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص
دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم
السلام ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة
والشعر والكهانة والخبر فانزل عليه القرآن الخارق لهذه

الاربعة

الاربعة فصول من الفصاحة والبلاغة الخارجة عن نمط
كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي
لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان
منهجه ومن الاخبار عن الكواين والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها
بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة
التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم
الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون
السالفة وابناء والامم البائدة والحوادث الماضية ما
يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها
وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه
الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم
القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر
فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه
السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر صدقه بظهور

معجزه على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس
الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة اليقين والنفس اشد
طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها
حقا وساير معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت
بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبيد
ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشارة عليه
السلام بقوله فيما ثنا القاضى الشهيد ابو على ثنا القاضى
ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا
ثنا الفربرى قال ثنا البخارى ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا
الليث عن سعيد عن ابيه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ما من الانبياء نبى الا اعطى من الايات ما
مثله امن عليه البشر وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله
الى فارجو انى اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث
عند بعضهم وهو الظ والصحيح ان شاء الله وذهب غير
واحد من العلماء فى تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا

علم

عليه السلام الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما
لا يمكن التخيل فيه ولا التحيل ولا التشبيه فان غيرها من معجزات
الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا فى التخيل بها على
الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما
يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر
فى التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره
من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا
بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى
وفى هذا التاويل الثانى ما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه
ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت فى
مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبى السنة من
ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه
وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان
بما فى مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء

والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس
والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين
آية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم
منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب
الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق
العادة بالافعال البديعة في نفسها كقلب العصا حية ونحوها
فانه يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب
ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك
صحيح النظر واما التحدي للخلائق سنين من السنين بكلام
من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي
على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو
قال نبي آية ان يمنع الله تعالى القيام عن الناس مع مقدرتهم
عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام
لكان ذلك من ابهر آياته واظهر دلالته وبالله التوفيق وقد غاب
عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبياء

حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها
ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم
من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم
لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري
ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة
البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون
فيه ومع هذا قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا
على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو
خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت
تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده
من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل عقله و
صفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته
وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا

كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم
واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى
هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه
وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه
المسالك وظهورها وبالله التوفيق وبه استعين ان
شاء الله تعالى

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل وهذا قسم
لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب
ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته
ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم
وزيارة قبره عليه السلام

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر بما قدمناه
ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه
فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذى
انزلنا

انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وقال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الاية فالايمان بالنبي محمد عليه السلام واجب
متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله
تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا الاية ثنا
ابو محمد الخشني الفقيه بقراتي عليه ثنا الامام ابو علي
الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن
سفيان ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد
بن زريع ثنا روح عن العلا بن عبد الرحمن بن يعقوب
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت
به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله قال القاضي ابو الفضل والايمان به
عليه السلام هو تصديق نبوته وتصديق رسالة الله

له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق
القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع
التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه
من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن
الاسلام فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان تشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام
ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملئكته
وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان
به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى
النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال
المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا
هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد

انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم
وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم
لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن
اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ايمان
ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم
حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا
المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على
الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر
سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك
وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد
ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق
من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احدهما
ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة

بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان
القول والشهادة به ورواه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة
لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير
عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه
الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من
الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة
فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة
من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن
حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام
ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة
الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ تفضي الى متسع من الكلام
في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة منهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما
يرجع الى ما زاد عليه من عمل وقد يعرض فيه لاختلاف

صفاته وتباين من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن
غرض التاليف وفيما ذكرناه غنية فيما قصدناه ان شاء الله
تعالى فصل واما وجوب طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم
فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته
لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
ورسوله وقال الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان اطيعوه تهتدوا
وقال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن
يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال الله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة
رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك
بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
واوجب امتثال امره واجتناب نهيه وقال المفسرون والائمة

طاعة الرسول فی التزام سنته والتسلیم لما جاء به وقالوا
ما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته علی من ارسله الیه
وقالوا من یطع الرسول فی سنته یطع الله فی فرائضه و
سئل سهل بن عبد الله عن شرایع الاسلام فقال وما
اتاکم الرسول فخذوه وقال السمرقندی یقال اطیعوا الله
فی فرائضه والرسول فی سننه ویقال اطیعوا الله فیما
حرم علیکم والرسول فیما بلغکم وقیل اطیعوا الله بالشهادة
له بالربوبیة والنبی بالشهادة له بالنبوة ثنا ابو محمد بن عتاب
بقرائتی علیه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علی بن
محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن یوسف ثنا البخاری
ثنا عبدان ثنا عبد الله ثنا یونس عن الزهری اخبرنی ابو سلمة
بن عبد الرحمن انه سمع ابا هریرة یقول ان رسول الله صلی الله
تعالی علیه وسلم قال من اطاعنی فقد اطاع الله ومن عصانی
فقد عصی الله ومن اطاع امری فقد اطاعنی ومن عصی
امری فقد عصانی فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله

امر بطاعة

امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد
حکی الله عن الکفار فی درکات جهنم یوم تقلب وجوههم
فی النار یقولون یا لیتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا
طاعته حیث لا ینفعهم التمنی وقال علیه السلام اذا نهیتکم
عن شیء فاجتنبوه واذا امرتکم بامر فأتوا منه ما استطعتم
وفی حدیث ابی هریرة عنه علیه السلام کل امتی یدخلون
الجنة الا من ابی قالوا ومن یأبی قال من اطاعنی دخل الجنة
ومن عصانی فقد ابی وفی الحدیث الآخر عنه علیه السلام
مثلی ومثل ما بعثنی الله به کمثل رجل اتی قوما فقال یا قوم
انی رأیت الجیش بعینی وانی انا النذیر العریان فالنجا فالنجا
فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا علی مهلهم
فنجوا وکذبت طائفة منهم فاصبحوا مکانهم فصبحهم
الجیش فاهلکهم واجتاحهم فذلک مثل من اطاعنی واتبع
ما جئت به ومثل من عصانی وکذب ما جئت به من الحق
وفی الحدیث الآخر فی مثله کمثل من بنی دارا وجعل فیها

مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل
من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة
فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فمن اطاع
محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق
بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء
بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الاية وقال فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد
وقال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الاية
قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع
لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من
من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال

سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة
السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته
تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على
اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم
له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروى عن الحسن
ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وروى
ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله تعالى
الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله اي تقصدوا
طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول
طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله العفو عنهم وانعامه
عليهم برحمته ويقال المحبة من الله عصمة وتوفيق ومن العباد

طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه   هذا لعمري
في القياس بديع   لو كان حبك صادقا لاطعته   ان المحب
لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيم له وهيبة منه
ومحبة الله له رحمته وارادة الجميل له وتكون بمعنى مدحه
وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة
والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة
العبد غير هذا بحول الله تعالى ثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
الفقيه قال ثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل ثنا ابو الحسن
بن يونس بن مغيث الفقيه بقرأتي عليه قال ثنا حاتم بن
محمد ثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الاجري قال ثنا ابراهيم
بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم
عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن
عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه
في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها

بالنواجذ

بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة وزاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة
في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين
احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به
او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه
وفي حديث عايشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ
ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال
قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم
له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القرأن
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرأن ومن تهاون بالقران
وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان يأخذوا بقولي
ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي
بالقرأن قال الله وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه

السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر
الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل
اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن ابن ابي
الحسن قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال
عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين
ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار
الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه
اليوم واصحابي وعن انس قال صلى الله تعالى عليه وسلم
من احيا سنتي فقد احباني ومن احباني كان معي وعن

عمرو بن

عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد
اميتت بعدي كان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان
ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي
الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك
من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف
والائمة من اتباع سنة والاقتداء بهديه وسيرته فثنا
الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن ابن ابي تليد الفقيه
سماعا عليه ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد ابن نصر ثنا
قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح
ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل
من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد
الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن
ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث
الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال

عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله
واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها
ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد
ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين
ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال
الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنته خير من عمل كثير
في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم
قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب
بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا
يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب
السنن اعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة ركعتين
فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس
عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله تعالى

عليه

عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست
بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنته بنبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت وكان ابن
مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة
وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر
وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على
الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر
جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس
ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها
ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجر
ورقها فان اقتصادا في سبيل الله وسنته خير من اجتهاد
في خلاف سبيل الله وسنته وانظروا ان يكون عملكم ان
كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء

وسننهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال
بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة
وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت
عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء
في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع
ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته
في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان
الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن
امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول
مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

في

في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية
في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله عز وجل والعمل الصالح
يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحكي
ان احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء
فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا
يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا لي يا احمد
ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك
اماما يقتدى بك فقلت من انت فقال جبريل فصل ومخالفة
امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليها
بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم قال ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا
ثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وثنا عبد الرحمن بن عتاب
بقراتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن

القابسی ثنا ابو الحسین بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن
ابی سلیمان ثنا سحنون بن سعید ثنا ابن القاسم ثنا
مالك عن العلا بن عبد الرحمن عن ابیه عن ابی هریرة ان رسول
الله صلی الله تعالی علیه وسلم خرج الی المقبرة وذكر الحدیث
فی صفة امته وفیه فلیذادن رجال عن حوضی كما یذاد البعیر
الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فیقال انهم بدلوا بعدك
فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروی انس ان النبی صلی
الله تعالی علیه وسلم قال من رغب عن سنتی فلیس منی
وقال من ادخل فی امرنا ما لیس منه فهو رد وروی ابن ابی
رافع عن ابیه عن النبی صلی الله تعالی علیه وسلم قال لا الفین
احدكم متكئا علی اریكته یاتیه الامر من امری مما امرت او نهیت
عنه فیقول لا ادری ما وجدنا فی كتاب الله اتبعناه زاد
فی حدیث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلی الله تعالی
علیه وسلم مثل ما حرم الله وقال علیه السلام وجیء بكتاب
فی كتف كفی بقوم حمقا او قال ضلالا ان یرغبوا عما جاء به

بینهم

بینهم الی غیر نبیهم او كتاب غیر كتابهم فنزلت اولم یكفهم انا انزلنا
علیك الكتاب یتلی علیهم الایة وقال علیه السلام هلك
المتنطعون وقال ابو بكر الصدیق رضی الله تعالی عنه لست
تاركا شیئا كان رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم یعمل
به الا عملت به انی اخشی ان تركت شیئا من امره ان ازیغ الباب
الثانی فی لزوم محبته علیه السلام قال الله تعالی قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشیرتكم واموال
اقترفتموها الایة فكفی بهذا حضا وتنبیها ودلالة وحجة
علی التزام محبته ووجوب فرضها وعظیم خطرها واستحقاقه
لها علیه السلام اذ قرع تعالی من كان ماله واهله وولده
احب الیه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا
حتی یاتی الله بامره ثم فسقهم بتمام الایة واعلمهم انهم ممن ضل
ولم یهده الله ثنا ابو علی الغسانی الحافظ فیما اجازنیه وهو
مما قراته علی غیر واحد قال ثنا سراج بن عبد الله القاضی
ثنا ابو محمد الاصیلی ثنا المروزی ثنا ابو عبد الله محمد بن

يوسف ثنا ابو محمد بن اسماعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا
بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم بالله حتى اكون
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة
نحوه وعن انس عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد
حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود الى الكفر كما
يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الى
من كل شئ الا نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه فقال عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت احب الى
من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم الان يا عمر وقال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه
فى جميع الاحوال ويرى نفسه فى ملكه عليه السلام لا يذوق

حلاوة

حلاوة سنته لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث
فصل فى ثواب محبته عليه السلام ثنا ابو محمد بن عتاب
بقراتى عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
على بن خلف ثنا ابو زيد المروزى ثنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا ابى ثنا شعبة عن عمرو بن
مرة عن سالم بن ابى الجعد عن انس ان رجلا اتى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما
اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى
احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان
بن قدامة هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك فناولنى
يده فقلت يا رسول الله انى احبك قال المرء مع من احب
وروى هذا اللفظ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابى ذر بمعناه

وعن علي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد حسن
وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان
معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي
ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت
موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع
النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه ولا يطرف فقال
ما لك قال بابي وامي اتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم
القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله تعالى الاية وفي
حديث انس ومن احبني كان معي في الجنة فصل في ما
روي عن السلف والايمة من محبتهم للنبي صلى الله تعالى

عليه

عليه وسلم وشوقهم له ثنا القاضي الشهيد ثنا العذري
ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا
قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم
لو راني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وقد تقدم حديث
عمر وقوله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الي
من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن
العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان
خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين
والانصار ويسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن
قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه
النوم وروي عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه

وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام ابى طالب كان اقر لعينى
من اسلامه يعنى اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابى طالب
كان اقر لعينك ونحوه عن عمر ابن الخطاب قاله للعباس ان
تسلم احب الى من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن اسحاق ان
امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد
مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد
الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل
مصيبة بعدك جلل وسئل على بن ابى طالب كيف كان حبكم
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان والله احب
الينا من اموالنا واولادنا واباءنا وامهاتنا ومن الماء
البارد على الظما وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس
فراى مصباحا فى بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول
على محمد صلوة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد

كنت قواما بكا بالاسحار يا ليت شعرى والمنايا اطوار
هل يجمعنى وحبيبى الدار تعنى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فجلس يبكى وفى الحكاية طول وروى ان عبد الله بن
عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك
فصاح يا محمداه فانتشرت رجله ولما احتضر بلال نادت
امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه
وروى ان امرأة قالت لعائشة اكشفى لى قبر رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما
اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو
سفيان بن حرب انشدك الله يا زيد اتحب ان محمدا الان
مكانك عندنا نضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد
والله ما احب ان محمدا فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة
وانى جالس فى اهلى فقال ابو سفيان ما رايت احدا من
الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم احلفها بالله ما خرجت من بغض زوج
ولا رغبة في ارض عن ارض وما خرجت الا حب الله ورسوله
ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال
كنت والله فيما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل
في علامة محبته عليه السلام اعلم ان من احب شيئا اثره
واثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا
فالصادق في حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر
علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته
واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه
والتادب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه
وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه
وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة

واسخاط

واسخاط العباد في رضى الله ثنا القاضي ابو علي الحافظ
ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا
ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا
ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري
عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال
انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد
فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي
فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه
الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في
بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها
ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه
بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله تعالى عليه
لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامة محبة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا

ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه وكل حبيب يحب لقاء
حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة
انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وقد تقدم
قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكره واظهار الخشوع
والانكسار مع سماع اسمه قال اسحاق التجيبي كان اصحاب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا
واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم
من يفعل ذلك محبة وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا
وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين
والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم
فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال عليه السلام
في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية
فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني
فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني فقد ابغض الله

وقال

وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال
لعايشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال اية الايمان
حب الانصار واية النفاق بغضهم وفي حديث بن عمر من
احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة
السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس
حين رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدبا من
حوالي القصعة فما زلت احب الدبا من يومئذ وهذا الحسن
بن علي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر اتوا سلمى
وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحبه رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وكان بن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة
من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه و
استثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
وهؤلاء اصحابه عليه السلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا
اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن ابي لو
شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القران الذي
اتى به عليه الصلوة والسلام وهدى به واهتدى وتخلق به
حتى قالت عائشة كان خلقه القران وحبه للقران وتلاوته
والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها
قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة
حب الله وحب القران حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلامة حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حب السنة
وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة
بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا وبلغة

الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسئل احد عن نفسه
الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله
ومن علامة حبه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته
على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار
عنهم كما كان عليه الصلوة والسلام وبالمؤمنين رؤفا
رحيما ومن تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره
الفقر واتصافه به وقد قال عليه الصلوة والسلام
لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع
من السيل من اعلا الوادي او الجبل الى اسفله وفي
حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول
قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني
فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه
فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم وكثرة عباداتهم في ذلك وليست
ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال
فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام
كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الاية وقال بعضهم محبة الرسول الله اعتقاد
نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته
وقال بعضهم المحبة دوام ذكر المحبوب وقال اخر ايثار
المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق للمحبوب وقال بعضهم
المحبة مواطاة القلب لمراد الرب فيحب ما احب ويكره ما كره
وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة
اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل
الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه
بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة
والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها
لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة قلبه وعقله

معان

معان باطنه شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل
المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والاعمال الحسنة
فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى
يبلغ التعصب لقوم والتشيع من امة في اخرين ما يؤدي
الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس
او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك
هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام
فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة
للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن
فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة
واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في
اوصاف الله تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته
اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه
بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين وبشيرا ونذيرا

وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاى
احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين
واى افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين
اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى
الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم
عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد
فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقة
شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه
انفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان
الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة او مرتين معروفا
او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذى بها قليل
منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك
لحسن سيرته او حاكم لما يوثر من قوام طريقته او قاض

بعيد

بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه
الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل
وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى صفته عليه الصلوة
والسلام من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه
وذكرنا عن بعض اصحابه انه كان لا يصرف بصره عنه
محبة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل فى وجوب
مناصحته عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل
التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين فى السر والعلانية ثنا الفقيه ابو الوليد بقراتى
عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن
عبد المومن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا احمد بن يونس
زهير ثنا سهيل بن ابى صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين

النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن
يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله والكتابه
ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله
النصيحة لله ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة
قال الامام ابو سليمان البستى النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة
ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة
تحصرها ومعناها فى اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل
اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن اسحاق الخفاف
النصح فعل الشئ الذى به الصلاح والملائمة ماخوذ
من النصاح وهو الخيط الذى يخاط به الثوب وقال ابو اسحق
الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة فى
محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص فى عبادته والنصيحة
لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع
عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل

الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق
بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قال ابو سليمان
وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء
سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة
واداب الجميلة وقال ابو ابراهيم التجيبى نصيحة رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه
والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات
القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله تعالى عليه
سلم وقال ابو بكر الاجرى وغيره النصح له يقتضى نصحين نصحا
فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر
والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له
وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية
واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال

وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في
شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن
سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على
امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك
فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة
من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري
ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي
فقيل بم ذلك قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي
ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق
ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه
وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين
وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم والنصح

لعامة

لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في
امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم و
تبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ورفع
المضار عنهم وجلب المنافع لهم الباب الثالث في تعظيم
امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الثلاث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره
والزم اكرامه وتعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال
الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزائين من العز ونهى عن
التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام
على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل
بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له

وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه
فيه وان يفتانوا بشئ فى ذلك من قتال او غيره من امر دينهم
الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد
والضحاك والسدى والثورى ثم وعظهم وحذرهم
مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال
الماوردى اتقوه يعنى فى التقدم وقال السلمى اتقوا الله فى
اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادى بعضهم
بعضا باسمه قال ابو محمد مكى اى لا تسابقون بالكلام و
وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم
لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب
ان ينادى به يا رسول الله يا نبى الله وهذا كقوله فى الاية
الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا على احد التأويلين قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين

ثم

ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك
وحذرهم منه قيل نزلت الاية فى وفد بنى تميم وقيل
فى غيرهم اتوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه
يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله بالجهل ووصفهم
بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى فى محاورة
كانت بين ابى بكر وعمر بين يدى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت
اصواتهما وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس
خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مفاخرة
بنى تميم وكان فى اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما
نزلت هذه الاية اقام فى منزله وخشى ان يكون حبط
عمله ثم اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
يا نبى الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان
نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش

حميدًا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروى
ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك
بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه كاخي السرار
ما كان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد
هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله فيهم ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى الاية وقيل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي
بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من
صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي
لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى
الله تعالى عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك
فنهوا عن قولها اذ مقتضاها انهم لا يرعونه الا برعايته لهم

بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها
قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة
وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام
وتوقيره واجلاله ثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي
بسماعي عليهما في اخرين ثنا احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسين
ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن
مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا ثنا الضحاك
بن مخلد ثنا حيوة بن شريح قال ثني يزيد بن ابي حبيب
عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر
حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اجل في
عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له و
لو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه
وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم كان يخرج الى اصحابه من المهاجرين والانصار وهم
جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا
ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه
ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفى
حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير
وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراى من تعظيم
اصحابه له ما راى وانه لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه وكادوا
يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها
باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه
شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره
واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه
تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش انى جئت
كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه وانى والله

ما

ما رايت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى اصحابه وفى رواية
ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه
ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع
شعرة الا فى يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان فى الطواف
بالبيت حين وجهه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى
القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حديث طلحة ان اصحاب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابى
جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه
فساله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى
الله تعالى عليه هذا ممن قضى نحبه وفى حديث قيلة فلما
رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء
ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفى حديث
المغيرة كان اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعون

بابه بالاظافر وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر فاوخره
سنتين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله تعالى
صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم
كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكره
حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة اله وعترته
وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على
كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر
ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به
نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله تعالى به قال
القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا
الماضين رضي الله تعالى عنهم ثنا القاضي ابو عبد الله محمد
بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم
وغير واحد فيما اجازونيه قالوا ثنا ابو العباس احمد بن
عمر بن دلهاث ثنا ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن

احمد

احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب قال ثنا
يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل ثنا ابن حميد ثنا ناظر ابو
جعفر امير المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع
صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوما فقال لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان
الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ولم تصرف
وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه
السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك
الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقال مالك
وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب
افضل منه قال وحج حجتين وكنت ارمقه ولا اسمع منه غير

انه كان اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى ارحمه
فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك
على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت ما
انكرتم على ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد
القراء لا نكاد نسئله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد
كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم اذا ذكر عنده
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة ولقد
اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا
واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من
العلماء العباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد
الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر
الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فيه هيبة

لرسول

لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد كنت اتى عامر بن
عبد الله ابن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري
وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فكانك ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتي
صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى
يقوم الناس عنه ويتركونه وروى عن قتادة انه كان اذا
سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك
الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد
الرحمن بن مهدي اذا قرئ حديث النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة

حديثه ما يجب له عند سماع قوله وكان بن سيرين ربما
يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وسننه ثنا الحسين بن محمد
الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو بكر البرقاني وغيره
ثنا ابو الحسين الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان
القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فاسمعه
يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه حدث
يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر عن جبهته ثم
قال هكذا ان شاء الله تعالى او فوق ذا او ما دون ذا او ما
قرب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن
قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي

حازم

حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه
فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وانا قايم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن
حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت
انك لم تتعن فقال كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وانا مضطجع وروى عن محمد بن سيرين
انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك
بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه
الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن
محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توضا وتهيا
ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فيسئل عن ذلك
فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية

فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل
فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل
مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه
وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره ولم يكن
يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك
فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا وكان
يكره ان يحدث في الطرق او هو قائم او مستعجل وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا
فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر
ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما

فرغ

فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد
رايت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدي
مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث
فانتهرني وقال كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي وسأله
جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر
بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ادب وذكر ان
هشام بن الغازي سال مالكا عن حديث واقف فضربه
عشرين سوطا ثم اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا
فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا
قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث
الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث
الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على

غير وضوء تيمم فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم
وبره بآله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه
عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله تعالى عنه
قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو
محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله ثنا ابو الحسن
المقرئ الفرغاني حدثني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف
قالت حدثني ابي ثنا حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن اسماعيل
ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق
عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا
لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل
العباس وقال عليه الصلوة والسلام اني تارك فيكم ما ان
اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف
تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من

النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد
امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم
من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف
وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة
لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية
وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا
فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل
بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي
وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة فقال اللهم هؤلاء
اهلي وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في علي من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال
فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان قلب رجل
حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما عم الرجل

صنوابيه وقال للعباس اغد على يا عم مع ولدك فجمعهم و
جللهم بملائة وقال هذا عمي وصنوابي وهؤلاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب و
حوايط البيت آمين آمين وكان ياخذ بيد اسامة بن زيد
والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي
الله تعالى عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي
نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احب
الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
احب الله من احب حسنا وحسينا وقال من احبني
واحب هذين واشار الى الحسن وحسين واباهما وامهما كان
معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها
وقال عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عايشة وعن عقبة
بن الحارث رايت ابا بكر رضي الله تعالى عنه وجعل
الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها

بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن قال اتيت
عمر بن عبد الله العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة
فارسل الي او اكتب لي فاني استحيي من الله ان اراك على بابي
وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له
بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل
عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا
ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى
ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له
هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر رأسه ونقر بيده الارض
وقال لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه
وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل
يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه

وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر
بن الخطاب لابنه عبد الله فى ثلاثة الاف ولاسامة ابن زيد
فى ثلاثة الاف وخمس مائة قال عبد الله لابيه لم فضلته على
فوالله ما سبقنى الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابيك واسامة احب
اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
على حبى وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن
سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة
رسول الله تعالى عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله لما
ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا
عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم انى جعلت
ضاربى فى حل فسئل بعد ذلك فقال انى خفت ان اموت
فالقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحى منه ان يدخل
بعض آله النار بسببى وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال

له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى الا وقد
جعلته فى حل لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتانى ابو بكر وعمر وعلى فى
حاجة لبدات بحاجة على قبلهما لقرباه من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولئن اخر من السماء الى الارض احب الى من
ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه
الساعة فقال اليس قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا رايتم اية فاسجدوا واى اية اعظم من ذهاب ازواج
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر رضى الله
تعالى عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ويقولان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها
ولما وردت حليمة السعدية على النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم بسط لها رداء وقضى حاجتها فلما توفى وفدت على
ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك

فصل ومن توقيره وبره عليه الصلوة والسلام توقير
اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء
عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان
يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن
احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذهم اهل
لذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل يذكر
حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء
ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال
الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم الى اخر السورة وقال والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الاية وقال لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية ثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الحسين

وابو

وابو الفضل ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب
ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة
عن زائدة عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح
الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله
ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا اصحابي
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا
نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملئكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله

اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لى منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم
خير اصحابى كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبنى ومن
ابغض عمر فقد ابغضنى وقال مالك بن انس وغيره من ابغض
الصحابة وسبهم فليس له فى فئ المسلمين حق ونزع باية
الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب
محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله
بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب
اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ايوب
السختيانى من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر
فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور
الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن
الثناء على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد
برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف
للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى

السماء

السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفى حديث
خالد بن سعيد ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال
يا ايها الناس انى راض عن ابى بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس
انى راض عن عمر وعن على وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس
ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظونى
فى اصحابى واصهارى واختانى لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة
فانها مظلمة لا توهب فى القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن
عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال
لا يقاس باصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحى الله
واتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل
عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه
السلام فى الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من
محسنهم وقال احفظونى فى اصحابى واصهارى فانه من

وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمى عن احمد بن فضلويه الزاهد
وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدى الا على
طهارة منذ بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ
القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية
بضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما
احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة فى الصحيح انه
قال عليه السلام فى المدينة من احدث حدثا او آوى
محدثا فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وحكى ان جهجاها الغفارى اخذ قضيب
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضى الله
تعالى عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس
فاخذته الاكلة فى ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال
عليه السلام من حلف على منبرى كاذبا فليتبوأ مقعده
من النار وحدثت ان ابو الفضل الجوهرى لما ورد المدينة

زابرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ولما
رأينا رسم من لم يدع لنا فوادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا
وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم انشاء يقول متمثلا رفع
الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطى بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام
وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك
فقال العبد الآبق لا ياتى الى بيت مولاه راكبا لو قدرت
ان امشى على راسى ما مشيت على قدمى قال القاضى
وجدير لمواطن عمرت بالوحى والتنزيل وتردد بها
جبريل وميكائيل وعرجت منها الملئكة والروح وضجت
عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على
جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة

رسوله ما انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات
ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات
ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد
المرسلين ومتبوا خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين
فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد
المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها
وتقبل ربوعها وجدرانها يا دار خير المرسلين ومن به
هدى الانام وخص بالايات عندى لاجلك لوعة وصبابة
وتشوق متوقد الجمرات وعلى عهد ان ملأت محاجرى
من تلكم الجدرات والعرصات لاعفرن مصون شيبى بينها
من كثرة التقبيل والرشفات لولا العوارى والاعادى
زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات لكن ساهدى من
حفيل تحيتى لقطين تلك الدار والحجرات اذكى من المسك
المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات وتخصه بزواكى
الصلوات ونوامى التسليم والبركات الباب الرابع

فى حكم

فى حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلة قال الله
تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبى الاية قال ابن عباس
معناه ان الله وملئكته يباركون على النبى وقيل ان الله يترحم
على النبى وملئكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم فهى
من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعاء الرحمة من الله و
قد ورد فى الحديث صفة صلاة الملئكة على من جلس ينتظر
الصلوة اللهم اغفرله اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال ابو بكر القشيرى
الصلوة من الله تعالى لمن دون النبى رحمة وللنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة
الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلوة الملئكة الدعا وقال
القاضى ابو الفضل وقد فرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة
فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذى امر الله تعالى به عباده
فقال القاضى ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا عليه

وكذلك من بعدهم ان يسلموا على النبي عند حضورهم قبره
وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها
السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدراً كاللذاذ و
اللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول
له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى الثالث
ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد كما قال فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلوة
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض على الجملة غير
محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة
والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر
الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع
ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به
الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما
عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار

اهله

اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا
ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي
بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر
بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا عليه ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا
يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي واجبة
في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك
واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في
الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض
عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله
عليه السلام هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف
انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر
الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين
من علماء الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم فى التشهد غير واجبة وشذ الشافعى فى ذلك فقال
من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد
الاخيرة وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه
قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له فى هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها
من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبرى
والقشيرى وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان
لا يصلى احد صلوة الا صلى فيها على النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية فى مذهب مالك
واهل المدينة وسفيان الثورى واهل الكوفة من اصحاب
الرأى وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكى عن مالك
وسفيان انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها
فى التشهد الاخير مسئ وشذ الشافعى فاوجب على تاركها
فى الصلوة الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون
النسيان وحكى ابو محمد بن ابى زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة

على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد
ليست من فرائض الصلاة وقال محمد بن عبد الحكم وغيره و
حكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد ابن المواز يراها فريضة
فى الصلاة كقول الشافعى وقد حكى ابو يعلا العبدى المالكى
عن المذهب فيها ثلاثة اقوال فى الصلوة الوجوب والسنة
والندب وقد خالف الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره
الشافعى فى هذه المسئلة قال الخطابى وليست بواجبة
فى الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى ولا اعلم له فيها
قدوة والدليل على انها ليست من فرض الصلوة عمل السلف
الصالح قبل الشافعى واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه
هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذى اختاره الشافعى
وهو الذى علمه له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه
الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك كل من
روى التشهد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كابى
هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى

وابي موسى الاشعري عبدالله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال جابر وابن
عباس كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن
عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان
في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث
لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن
لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية
هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل علي
فيها وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه من
قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل
فيها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على اهل بيته
لرايت انها لا تتم فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلوة
والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب من ذلك

وفي تشهد

في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء
ثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراتي عليه ثنا الامام ابو القاسم
البلخي ثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى
الحافظ ثنا محمود بن غيلان ثنا عبدالله بن يزيد المقرى ثنا
حيوة بن شريح ثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي
اخبره انه سمع فضالة ابن عبيد يقول سمع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته ولم يصل على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد
الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء
ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن
الخطاب قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض
فلا يصعد منه الى الله شيء حتى يصلى على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بمعناه وقال وعلى ال محمد وروي ان الدعاء

محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا فليبدء
بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصل على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم ليسال فانه اجدر ان ينجح وعن جابر
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب فان الراكب يملاء قدحه ثم يضعه ويرفع
متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا او الاهرقه
ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره وقال بن
عطا للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان صادف
اركانه قوى وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته
فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة
والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من
الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه
الصلوة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث
الدعاء بين الصلاتين على لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب

دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء وفي دعاء
ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب
دعائي ثم يبدء بالصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما
صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلوة
عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابته او عند الاذان وقد
قال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وكره بن حبيب ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال
لا يصلي عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب
قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة
والعطاس فلا يقال فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال
بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقال
اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس

عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة
عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام دخول
المسجد قال ابو اسحق بن شعبان ينبغي لمن دخل المسجد ان
يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى اله ويترحم
عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل
مثل ذلك وجعل موضع رحمتك وفضلك وقال عمرو بن
دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت
هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل
السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت
المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

صلى

صلى الله وملئكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج
ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة
بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي
بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا
الحديث اخر هذا القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن
الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة
انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل
الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي واله في الرسائل وما يكتب
بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند
ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم
من يختم به ايضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي
في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم تشهد الصلاة ثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم

المقرى الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد
قالت ثنا ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل
ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن
مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا صلى
احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام
عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح
فى السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته
اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك
اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك
فى المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن
مسلمة اراد ما جاء عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان
عند سلامهما السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم
واستحب اهل العلم ان ينوى الانسان حين سلامه كل عبد

صح

صالح فى السماء والارض من الملئكة وبنى آدم والجن قال
مالك فى المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول
السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل فى كيفية الصلوة
عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه
بقرائى عليه حدثنا القاضى ابو الاصبغ ثنا ابو عبد الله بن
عتاب ثنا ابو بكر بن واقد وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبد الله
ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابى بكر بن حزم عن
ابيه عن عمرو بن سليم الزرقى قال اخبرنى ابو حميد الساعدى
انهم قالوا يا رسول كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل
على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك
على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك
حميد مجيد وفى رواية مالك عن ابن مسعود الانصارى
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل
ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك

حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفى رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم و بارك على محمد
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو فى
حديثه اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى ال محمد وفى رواية
ابى سعيد الخدرى اللهم صل على محمد عبدك و رسولك
وذكر معناه ثنا القاضى ابو عبد الله التميمى سماعا عليه وابو
على الحسن بن طريف النحوى بقراءتى عليه قال ثنا ابو عبد الله
بن سعدون الفقيه ثنا ابو بكر المطوعى ثنا ابو عبد الله الحاكم
عن ابى بكر بن ابى دارم الحافظ عن على بن احمد العجلى عن حرب
بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن
على بن الحسين عن ابيه على عن ابيه الحسين عن ابيه على بن
ابى طالب قال عدهن فى يدى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال عدهن فى يدى جبريل وقال هكذا نزلت
من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على

محمد

محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك
حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى
ال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد كما سلمت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابى هريرة عن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد
النبى وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما
صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفى رواية زيد بن
خارجة الانصارى سالت النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم كيف نصلى عليك فقال صلوا واجتهدوا فى الدعاء
ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندى كان
على يعلمنا الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

اللهم داحى المدحوات و سامك المسموكات اجعل
شرايف صلواتك ونوامى بركاتك ورأفة تحننك على
محمد عبدك و رسولك الفاتح لما اغلق لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع
بامرك بطاعتك مستوفزا فى مرضاتك واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا
لقابس الاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والاثم وانهج موضحات الاعلام
ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المأمون
وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة
ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك واجزه
مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم
اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله
واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضى

المقالة

المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان وعنه ايضا
فى الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله و
ملئكته يصلون على النبى الاية لبيك اللهم وسعديك صلوات
الله البر الرحيم والملئكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شئ يا رب العالمين
على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام
المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى اليك
باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن
مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على
سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم
انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى يقول من اراد

ان يشرب بالكأس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل
على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته
واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته
وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن
عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع
درجته العليا واته سوله فى الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم
وموسى وعن وهب بن الورد انه كان يقول فى دعائه
اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل
ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت
مسئول له الى يوم القيمة وعن بن مسعود انه كان يقول
اذا صليتم على النبى عليه السلام فاحسنوا الصلوة
عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم
اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما

محمودا

محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ال ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم
انك حميد مجيد وما يؤثر من تطويل الصلوة وتكثير الثناء
عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم
هو ما علمتم فى التشهد من قوله السلام عليك ايها النبى
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وفى تشهد على السلام على نبى الله السلام
على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام
محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمومنات
من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لاهل بيته واغفر لى ولوالدى وما ولدا وارحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك
ايها النبى ورحمة الله وبركاته جاء فى هذا الحديث عن
على الدعا للنبى بالغفران وفى حديث الصلوة عليه عنه ايضا

قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الاحاديث
المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره
الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة والبركة
التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو
محمد ابن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اللهم ارحم محمدا وال محمد كما رحمت على ابراهيم وال
ابراهيم ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجته قوله في
السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم والتسليم عليه والدعاء له صلى الله تعالى عليه
وسلم ثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا القاضي
يونس بن مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي ثنا
سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني
كعب عن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع
انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانه منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال
لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى علي
صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر
خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له
عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل
ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا
ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف
عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله
يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك
صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن
اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن

الحباب سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من
قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة
وجبت له شفاعتي وعن بن مسعود اولى الناس بي يوم
القيمة اكثرهم على صلاة وعن ابي هريرة عنه عليه السلام
من صلى على في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي
في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول من صلى على صلاة صلت عليه
الملئكة ما صلى على فليقلل من ذلك عبد اوليكثر وعن
ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه
فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك
فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال
ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلث قال ما شئت
وان زدت فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وان زدت

فهو

فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير
لك قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال
اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته
ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل
انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك
ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله
عليه وملئكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت
محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي
وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن
ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا

غفرله وروى بن وهب ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة وفى بعض الاثار
ليردن على اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم على وفى اخر ان
انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم على صلاة
وعن ابى بكر الصديق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
امحى للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل
من عتق الرقاب فصل فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم واثمه حدثنا القاضى الشهيد ابو على
رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفى
قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجى ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو
عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقى ثنا ربعى بن ابراهيم
عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابى سعيد عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم انف رجل
دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل

ادرك

ادرك عند ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن
واظنه قال او احدهما وفى حديث اخر ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد فقال
امين ثم صعد فقال امين فسأله معاذ عن ذلك فقال
ان جبريل صلى الله تعالى عليه وسلم اتانى فقال يا محمد
من سميت بين يديه ولم يصل عليك فمات فدخل النار
فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم
يبرهما فمات مثله وعن على بن ابى طالب عنه عليه السلام
انه قال البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل على وعن
جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على اخطئ به طريق
الجنة وعن على بن ابى طالب ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم
يصل على وعن ابى هريرة قال ابو القاسم صلى الله تعالى

عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا
الله ويصلوا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت عليهم
من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة
من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه
السلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن
جابر عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على
غير صلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا تفرقوا عن
انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي
عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم مرة في المجلس اجزاء عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى
عليه او سلم عليه من الانام ثنا القاضي ابو عبد الله

التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد
المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ
ثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن
قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي
حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من
صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن
ابن مسعود ان لله ملئكة سياحين في الارض يبلغوني
عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا
من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة
وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي
حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيث
ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس
ليس احد من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي عليه

الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله تعا
عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت
المسجد فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا
ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم
تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة
يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن
سحيم رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت
يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه
سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اكثروا
من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما
يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما
من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي
ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا فصل

في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وسائر الانبياء قال القاضي وفقه الله عامة اهل
العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله تعا
عليه وسلم وروى عن ابن عباس انه لا تجوز الصلوة على
غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه لا تنبغي
الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى
الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك
انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه
السلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك
في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء
وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست
اخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى
غيرهم واحتج بحديث بن عمر وبما جاء في حديث تعليم
النبي الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى اله وقد وجدت
معلقا عن ابي عمران الفاسي روى عن ابن عباس كراهة

الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال وبه
نقول ولم تكن تستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا
والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب
بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه
حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذى يصلى عليكم
وملئكته الاية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها وصل عليهم الاية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم صل على
ال ابى اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صلى على
ال فلان وفى حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه
وذريته وفى اخر وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل
الاتباع والرهط والعشيرة وقيل ال الرجل ولده وقيل قومه
وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفى رواية انس



٢٣٩

سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ال محمد قال كل تقى
ويجئ على مذهب الحسن ان المراد بال محمد محمد نفسه فانه
كان يقول فى صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
على ال احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتى بالنفل
لان الغرض الذى امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا
مثل قوله عليه السلام لقد اوتى مزمارا من مزامير آل
داود يريد من مزامير داود وفى حديث ابى حميد الساعدى
فى الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفى
حديث ابن عمر انه كان يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلى ابى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى الاندلسى
والصحيح من رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر وروى
ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب
فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضى والذى ذهب
اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله

وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شئ
يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص الله تعالى عند
ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره
كذلك يجب تخصيص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وا تسليما
ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضا كما قال
الله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم
وايضا فهو امر لم يكن معروفا فى الصدر الاول كما قال ابو عمران
وانما احدثه بعض الرافضة والمتشيعة فى بعض الائمة
وشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبى صلى
الله تعالى عليه وسلم فى ذلك وايضا فان التشبه باهل
البدع منهى عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك
وذكر الصلوة على الال والازواج مع النبى صلى الله تعا
عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا

وصلوة

وصلوة النبى على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة
ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا
تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وكذلك
يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض
وهذا اختيار الامام ابى المظفر الاسفرائنى من شيوخنا
فصل فى حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره
وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام
سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى
عن ابن عمر قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى
وجبت له شفاعتى وعن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من زارنى فى المدينة محتسبا
كان فى جوارى وكنت له شفيعا يوم القيمة وفى حديث
اخر من زارنى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى وكره
مالك ان يقال زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وقد اختلف فى معنى ذلك وقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله

لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة
وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا
ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد
في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في
حقه تعالى والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له
لاضافته الى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لو قال
زرنا النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه
بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال
اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور
بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره
ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي

كان

كان يستند اليه وينزل جبريل فيه بالوحي عليه وبمن
عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك
كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول
بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فتلى هذه الآية ان الله وملئكته يصلون على النبي ثم قال
صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك
صلى الله تعالى عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن
يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر ابن عبد العزيز فلما
ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاقرئه مني السلام قال
غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت
انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية
ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا
يمس القبر بيده وقال في المبسوط قال لا ارى ان يقف عند
قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه
وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة واكثر
يجئ الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام
على ابي ثم ينصرف وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي
انه كان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلي على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن
القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية
ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي وعمر قال
القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر كما في حديث



ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد
الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام
علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان
الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر
فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله
تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في
غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه
السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة و
منبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا
متوقرا فتصلي عليه وتثني بحضرتك وتسلم على ابي بكر
وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد
قبا وقبور الشهداء وقال مالك في كتاب محمد ويسلم على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني

في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده
الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول
اذا خرج اللهم اني اسئلك من فضلك وفي رواية اخرى اللهم
احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس
يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله تعالى وملئكته على
محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا
وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا
خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر

مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله
والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب
رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل
احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك وقال مالك في المبسوط وليس
يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف
بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من
سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلي
عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل
المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في
اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين
او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني
هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح

اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغنى عن اول هذه الامة
وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر
او اراده قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها
او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك راى قال الباجى
ففرق بين اهل المدينة والغربا لان الغربا قصدوا لذلك واهل
المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال
عليه السلام اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا
قبرى عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندى فيمن وقف
بالقبر لا يلصق بالقبر ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا
وفى العتبية يبدء بالركوع قبل السلام فى مسجد النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق واما فى
الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب
الى من التنفل فى البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه
وفضله وفضل الصلوة فيه وفى مسجد مكة وذكر قبره
ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روى
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل اى مسجد هو قال
مسجدى هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر
ومالك ابن انس وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قبا ثنا
هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه ثنا الحسين بن محمد
الحافظ ثنا ابو عمر النمرى ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر
بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد عن سفيان عن الزهرى
عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد
الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار
فى الصلوة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله
العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضوان الله
تعالى عنه صوتا فى المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت
قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لاذيتك
ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغى
لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشئ من الاذى
وان ينزه عما يكره قال القاضى حكى ذلك كله القاضى اسماعيل
فى مبسوطه فى باب فضل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا
الحكم قال القاضى اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره فى
مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الجهر على المصلين
فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يختص به المساجد رفع
الصوت فقد كره رفع الصوت بالتلبية فى مساجد الجماعات
الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام

صلاة

صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا
المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة صلوة فى مسجدى
هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال
القاضى اختلف الناس فى معنى هذا الاستثناء على اختلافهم
فى المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك فى رواية اشهب
عنه وقاله بن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى
الحديث ان الصلوة فى مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم افضل من الصلوة فى سائر المساجد بالف صلوة
الا المسجد الحرام فان الصلوة فى مسجد النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا
بقول عمر بن الخطاب صلوة فى المسجد الحرام افضل من مائة
صلوة فيما سواه فتأتى فضيلة مسجد الرسول عليه بتسع
مائة وعلى غيره بالف وهذا مبنى على تفضيل المدينة على
مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك
واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة

وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك
وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في
الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل
واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل
من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله
فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في
سائر المساجد بمائة الف صلوة ولا خلاف ان موضع قبره
افضل من بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي
يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم
منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل
انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان
ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان
خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان
بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتي

ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي
سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر منبري
على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما
ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما
بينه ما بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر
وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري
ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني
الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته
وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي
كان في الدنيا وهو الاظهر والثاني ان يكون له هناك منبر
والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال
الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي
وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما
انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه يستحق
ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني

ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الدودي
وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها
احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن
يحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما
المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من
رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه عليه السلام
من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة
لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث من الآمنين
يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع ان يموت في المدينة
فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت
وضع للناس للذي ببكة الى قوله امنا قال بعض المفسرين
امنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من احدث حدثا
ولجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون

الخولاني

الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه
النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض اللون فقال لعله حج
ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه
ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره
وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم
حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعوا
الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب
وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام المحمود ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من
الامنين وقرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثك
ابو العباس العذري قال نا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد
الهروي ثنا الحسن بن رشيق نا الحسن محمد بن الحسن
بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال
سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمر بن دينار قال

بن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول ما دعا احد بشئ في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن
عباس وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا استجيب لي
وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان
وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما دعوت الله بشئ
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي
وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن
محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة
وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت
الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن

رشيق

رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وارجو ان يستجاب لي
من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشئ في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال
ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي
بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال
القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل
وان لم تكن من هذا الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله
حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته القسم
الثالث فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما يستحيل
او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في
الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى

تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر ولولا ذلك لما
اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله
تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اى لما كان الا فى
صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم اذ لا يطيقون مقاومة
الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل
لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن فى سنة الله ارسال
الملك الا لمن هو من جنسه او لمن خصه الله تعالى واصطفاه
وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء والرسل
وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه
وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرى على
البشر من الاعراض والاسقام والموت والفنا ونعوت
الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف



البشر متعلقة بالملا الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة
من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف
الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم
لما اطاقوا الاخذ عن الملئكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم
كما لا يطيق غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم
متسمة بنعوت الملئكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر
من ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا
من جهة الاجسام وظواهر مع البشر ومن جهة الارواح
والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا
من امتى خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناى ولا ينام قلبى
وقال انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى ربى ويسقينى فبواطنهم
منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه
جملة لن يكتفى بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط
وتفصيل على ما ناتى به بعد هذا فى البابين بعون الله وهو

حسبى ونعم الوكيل الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية
والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلواة الله وسلامه
عليهم وقال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه اعلم ان
الطوارى من التغيرات والافات على احاد البشر لا تخلو ان
تطرئ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض
والاسقام او تطرئ بقصد واختيار وكله فى الحقيقة عمل
وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد
بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ
عليهم الافات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار فى هذه الوجوه
كلها والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز
على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة
وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات
التى تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء
الله تعالى فيما نأتى به من التفاصيل فصل فى حكم عقد قلب
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من وقت نبوته اعلم سنحنا الله

وإياك توفيقه ان ما يتعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله
تعالى وصفاته والايمان به وبما اوحى اليه فعلى غاية المعرفة
ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشئ من ذلك
او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك
واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين
الواضحة ان يكون فى عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا
بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اذ لم يشك
ابراهيم فى اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمأنينة
القلب وترك المنازعة بمشاهدة الاحياء فحصل له العلم
الاول بوقوعه واراد العلم الثانى بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثانى ان ابراهيم الخليل عليه السلام انما اراد اختبار منزلته
عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون
قوله اولم تؤمن اى تصدق بمنزلتك منى وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وان لم يكن
فى الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل

فى قوتها وطربان الشكوك على الضروريات ممتنع ويجوز
فى النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة والترقى
من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال
سهل بن عبدالله سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور
اليقين تمكنا فى حاله الوجه الرابع انه لما احتج على الكفار
المشركين بان ربه يحيى ويميت طلب ذلك من ربه ليصح
احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال
على طريق الادب والمراد اقدرنى على احياء الموتى وقوله
ليطمئن قلبى عن هذه الامنية الوجه السادس انه ارى
من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول
نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابراهيم نفى لان يكون
ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم
اى نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم
لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته
الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق

ان

ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه
فان قلت فما معنى قوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله قلبك
ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات شك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما
اوحى اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال
ابن عباس لم يشك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسئل
ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ما اشك ولا اسئل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا فى معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك
ان كنت فى شك الاية قالوا وفى السورة نفسها ما دل على
هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى
الاية قيل المراد بالخطاب العرب وغير النبى عليه السلام كما قال
لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله
فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء

الاتراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو
عليه السلام كان المكذب فيما يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب به
فهذا كله يدل ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن
فسئل به خبيرا المأمور ههنا غير النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ليسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والنبي عليه
السلام هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقال ان هذا
الشك الذي امر غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤال
الذين يقرؤن الكتاب انما هو مما قصه من اخبار الامم لا فيما
دعى اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون
والخطاب مواجهة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله
العتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف
الخافض وتم الكلام ثم ابتدء اجعلنا من دون الرحمن
الهة الى اخر الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه
مكي وقيل امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يسال

الانبياء

الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من
ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسئل قد اكتفيت
قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد
وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد
بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم
يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم
في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله
تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله
وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول
الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى
يا محمد في ذلك فلا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية
افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل

وقيل معناه ما كنت في شك فسئل تزدد طمأنينة وعلما الى
علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك
به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكى عن ابي
عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل
فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على
قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشة معاذ الله
ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما
استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم
وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على
الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس
والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرء مجاهد
كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما
لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في
حديث السيرة ومبتدء الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن

لعله

لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي
فينخلع قلبه وتزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله
بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى
له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه
الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض
طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في
اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الامر
مشافهة ومشاهدة فلا تحتمله لاول حالة بنية البشرية
وفي الصحيح عن عايشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم
حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار
حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه
وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم قال وذكر جواره بغار حرا قال فجاءني وانا نائم فقال
اقرأ قلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عايشة في غطه له واقرائه
اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي
كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون
ثم قلت لا تحدث قريش عني بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من
الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك
اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله
وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر
الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده لما قصد
انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله
له بالنبوة واظهاره اصطفاءه له بالرسالة ومثله حديث
عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت
وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا
الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا واري ضوءا واخشى

ان

ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه
الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها
معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره
وقبل لقاء الملك له واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض
هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له
ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما
القي اليه وقد روى ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل
ان ينزل عليه فلما انزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه
فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا
وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها الحديث
انما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك
عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد

بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة ان ورقة

امر خديجة ان تخبر الامر بذلك وفي حديث اسماعيل بن ابي

حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن

عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما

جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث

الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن

عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته

لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق الجبال

لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده

ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول

الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من

بلغه

بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم

يؤمنوا بهذا الحديث ويصح معنى هذا التاويل حديث رواه

شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله

ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق رأيهم على ان يقولوا انه

ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه

جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة

لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه ففعل

ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض

ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له

لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن

ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع

في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل

حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل يقدر

عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل

يؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن
ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان
يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك
وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر
لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه
ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا
لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على
لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم
عليه فخرج لذلك مغاضبا له وقد روي عن ابن عباس
ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت
واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم و
انبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه ويستدل ايضا
بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة

اذا قيل بنبوته فان قيل ما معنى قوله عليه السلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله في كل يوم مائة مرة وفي طريق
اخر في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك
ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه
السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه
قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها
وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء ولا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة
او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي
ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد الاستغفار
لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه
وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق
بما كان صلى الله تعالى عليه وسلم دفع اليه من مقاساة
البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي

والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل
الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن
لما كان صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص
قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها
وشغله بسواها غضا من على حاله وخفضا من رفيع مقامه
فاستغفر الله من ذلك وهذا اولى وجوه الحديث واشهرها
والى معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب
ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه
وهو مبنى على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير
طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب
القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى
تعالى عليه وسلم عن هذا جملةً واجله ان يجوز عليه في حاله
سهوا وفترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره

من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته
عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه
السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه
ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهارا للعبودية
والافتقار وقال ابن عطا استغفاره وفعله هذا تعريف
للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون الحذر
ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة
خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله
وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون
عبداً شكوراً وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روى في بعض
طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي
في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما
معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام
فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين

فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه
السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى
وفي اية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق
لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات
الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم
ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال تعالى اني
اعظك وليس في اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي
نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسئلني
ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل
هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء
فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من
السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه
ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكاه مكي
كذلك امر نبينا في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه
ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر

حكاه

حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي
فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في
القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه
بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه
لا يجوز عليهم شئ من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه
السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات الاية وقوله لاخذنا منه باليمين الاية وقوله وان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشاء
الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته
وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا
الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه الا يبلغ
وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا
يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع

الكافرين لكن بستر امره بالمكاشفة والبيان فى البلاغ للمخالفين
وان ابلاغا ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه
وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى
وهرون لا تخافا ليشتد بصائرهم فى الابلاغ ولاظهار دين
الله ويذهب عنهما خوف العدو المضعف للنفس واما قوله
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك
لو كنت ممن يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من فى الارض
يضلوك عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين
كفروا الاية وقوله فان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت
ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من
اشرك والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز عليه هذا
وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله
ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين



فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه
خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل
بالله وصفاته والتشكك فى شئ من ذلك وقد تعاضدت
الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة
منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق
انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه فى
الباب الثانى من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد
من اهل الاخبار ان احدا نبى واصطفى ممن عرف بكفر
واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل
بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا
اقول ان قريشا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته
وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص
الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد فى شئ من ذلك
تعييرا لواحد منهم برفضه الهته وتقريعه بذمه بترك
ما كان قد جاء معهم ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين

وتبلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بينهم عما
كان يعبد اباؤهم من قبل اقطع واقطع في الحجة من توبيخه
بينهم عن تركهم آلهتهم وماكان يعبد اباؤهم من قبل ففي
اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا
اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل
القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه
الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن
هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
الاية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به
ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق
قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل
مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا
ما لا يجوزه الا ملحد وهذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك
وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة
وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا

كما

كما تظاهرت به اخبار المبداء ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم
في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا
في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم
التكليف ومعظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه
انما قال مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه
الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي
قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين
شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك
ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال
لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته
اكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق

والحذر والا فهو معصوم فى الازل من الضلال فان قلت
فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
اولتعودن فى ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل
عليك لفظة العود وانها تقتضى انهم انما يعودون الى ما كانوا
عليه من ملتهم فقد تاتى هذه اللفظة فى كلام العرب
لغير ماله ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء فى حديث الجهنميين
عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر تلك
المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل
ذلك فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى
فليس هو من الضلال الذى هو الكفر قيل ضالا عن النبوة
فهداك اليها قاله الطبرى وقيل وجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه
عن السدى وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اى
لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان

عليه السلام يخلو بغار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه
ويتشرع به حتى هداه الله تعالى الى الاسلام قال معناه
القشيرى وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله
وعلمك ما لم تكن تعلم قاله على بن عيسى قال ابن عباس
رضى الله عنه لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اى
بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة
وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن
محمد ووجدك ضالا عن محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتى وقرء الحسن بن على ووجدك ضالا
فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى
محبا لمعرفتى والضال المحب كما قال تعالى انك لفى ضلالك
القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا فى الدين
ان لو قالوا ذلك فى نبى الله تعالى لكفروا ومثله عند
هذا قوله تعالى انا لنريها فى ضلال مبين اى محبة بينة
وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك

لبيانه لقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل ووجدك
لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا
اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك
فى قصة موسى عليه السلام قوله تعالى فعلتها اذا وانا من
الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن
عرفة وقال الازهرى معناه من الناسين وقد قيل ذلك
فى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال
تعالى ان تضل احديهما فان قلت فما معنى قوله تعالى ماكنت
تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندى
قال معناه ماكنت تدرى قبل الوحى ان تقرا القرآن ولا كيف
تدعوا الخلق الى الايمان وقال بكر القاضى نحوه قال
ولا الايمان الذى هو الفرائض والاحكام قال فكان
قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها
قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت
فما معنى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم

انه

انه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون
بل حكى ابو عبيد الهروى ان معناه لمن الغافلين عن قصة
يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذى
يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر ان النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم
فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى
تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن
حنبل جدا وقال هذا موضوع او يشبه بالموضوع وقال
الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث
بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه عند اهل
العلم من قوله بغضت الى الاصنام وقوله فى الحديث الاخر
الذى روته ام ايمن حين كلمه عمه واله فى حضور بعض
اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج

معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم
تمثل الى شخص ابيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه
فما شهد بعد لهم عيداً وقوله في قصة بحيرا حين استحلف
النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام
في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات
النبوة فاخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسئلني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال
بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسئلك عنه فقال سل عما
بدالك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق
الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة
في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه
السلام فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله عليه
قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان
والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا
هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوة علما

ويقينا

ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم
بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار
واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا
منه في حق نبينا عليه السلام في الباب الرابع اول قسم
من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم
في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا
فلا يشترط في حق الانبياء عليهم السلام العصمة من عدم
معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي
عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة
وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها
بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهراً من
الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين
هذا في الباب الثاني ان شاء الله سبحانه وتعالى ولكنه
لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك
يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا

الى اهل الدنيا وقلدوا اسبابهم وهدايتهم والنظر في
مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم
بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء عليهم السلام
وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله
مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح
من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا العلم به لا يجوز عليه
جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن
وحي من الله تعالى فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما
قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون
فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شئ على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين
وعلى مقتضى حديث ام سلمة رضي الله عنها اني انما اقضي
بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة
اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأى بعضهم فلا يكون
ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا

هو

هو الحق الذي لا يلتفت الى من خالف فيه ممن اجاز عليه
الخطأ في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين
الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان
الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من
الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة
المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه
شئ ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر
النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا علمه الله
سبحانه شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي
من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله
تعالى وكان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى
استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت
معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء

الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل
الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه
واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق
الله سبحانه وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور
الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم
ما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا تاخذه
فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين
لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده
من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله عليه السلام اني
لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله عليه السلام ولا خطر على
قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول
موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم اسئلك باسمائك الحسنى ما
علمت منها وما لم اعلم وقوله عليه السلام اسئلك بكل
اسم هو لك سميت نفسك واستاثرت في علم الغيب

عندك

عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال
زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله سبحانه
وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتها
لها هذا حكم عقد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التوحيد
والشرع والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان الامة
مجمعة على عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من
الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على
خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي
رحمه الله قال ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو بكر
البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسماعيل
الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان
عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله
بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من
الملئكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى

اعاننى عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرنى الا بخير
وعن عايشة رضى الله عنها بمعناه وروى فاسلم بضم الميم
اى فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروى
فاسلم يعنى القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار
لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم قال القاضى ابو الفضل وفقه الله فاذا كان هذا حكم
شيطانه وقرينه المسلط على بنى ادم فكيف بمن بعد عنه
ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار
بتصدى الشيطان له فى غير موطن رغبة فى اطفاء نوره
واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه
فانقلبوا خاسرين كتعرضه له فى صلوته فاخذه النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم واسره ففى الصحاح قال ابو هريرة
رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الشيطان
عرض لى قال عبد الرزاق فى صورة هرة فشد على يقطع
على الصلوة فامكننى الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه

الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخى
سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا الاية فرده الله خاسئا
وفى حديث ابى الدرداء رضى الله عنه عنه عليه السلام
ان عدو الله ابليس جاء نى بشهاب من نار ليجعله فى وجهى
والنبى صلى الله عليه وسلم فى الصلوة وذكر تعوذه بالله
منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكره نحوه وقال لاصبح
موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك فى حديثه
فى الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما
يتعوذ به منه ذكره فى الموطأ ولما لم يقدر على اذاه بمباشرة
تسبب بالتوسط الى عداه كقصته مع قريش فى الائتمار بقتل
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتصوره فى صورة الشيخ
النجدى ومرة اخرى فى غزوة يوم بدر فى صورة سراقة بن
مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية
ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه
الله امره وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى

عليه السلام كي لمسه فجاءه ليطعن بيده في خاصرته حين
ولد فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه
وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من
الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله
تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية
فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن
الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك
على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا
الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
وقيل ينزغنك ويحركك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله
تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان
من اغرائه به وخواطرائي وساوسه مما لم يجعل له سبيل
اليه ان يستعيذ منه فيكفي امره ويكون سبب تمام عصمته
اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة
عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان

يتصور

يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول
الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك
النبي ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم
ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل
منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقاء
الشيطان فيها شغله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي
حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك
على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله
الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام
على هذه الاية بعد ما شبع من هذا ان شاء الله وقد حكى
السمرقندي انكار قول من قال ليتسلط الشيطان على ملك

سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة
سليمان مبنية بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذى
ولد له وقال ابو محمد مكى فى قصة ايوب وقوله انى
مسنى الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول
وان الشيطان هو الذى امرضه والقى الضر فى بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكى وقد
قيل ان الذى اصابه الشيطان ما وسوس به والى اهله فان
قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان
وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقوله
نبينا عليه السلام حين نام عن الصلوة يوم الوادى ان هذا
واد به شيطان وقول موسى عليه السلام فى وكزته هذا من
عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد فى جميع هذا
على مورد مستمر كلام العرب فى وصفهم كل قبيح من شخص
او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى طلعها كانه رؤس
الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو

شيطان

شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه
اذ لم يثبت له فى ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى
واذ قال موسى لفتاه والمروى انه انما نبى بعد موت موسى
وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران
وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقال المفسرون
فى قوله انساه الشيطان قولين احدهما ان الذى انساه الشيطان
ذكر ربه احد صاحبى السجن وربه الملك اى انساه ان يذكر
للملك شان يوسف عليه السلام الشيطان وايضا فان مثل
هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع
بوسواس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما
من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان
هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسة
له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين ذلك الشيطان بقوله
ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبى حتى
نام فاعلم ان تسلط الشيطان فى ذلك الوادى انما كان

على بلال الموكل بكلاة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا
واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة واما ان
جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى وعلة لترك الصلوة
به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به فى
هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله
عليه السلام فقامت الدلالة الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه
معصوم فيه عن الاخبار عن شئ منها بخلاف ما هو به لا قصدا
وعمدا ولا سهوا وغلطا اما تعمد الخلف فى ذلك فمنتف
بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق رسولى قال
اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة
الغلط فى ذلك فبهذا السبيل عند الاستاذ ابى اسحق
الاسفراينى ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط
وورد الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبى لا من مقتضى
المعجزة نفسها عند القاضى ابى بكر الباقلانى ومن وافقه

لاختلاف

لاختلاف بينهم فى مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره
فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع
المسلمين انه لا يجوز عليه خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة
والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على
وجه العمد ولا على غير عمد ولا فى حالى الرضاء والسخط و
الصحة والمرض وفى حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول
الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم قلت فى الرضاء والغضب
قال نعم فانى لا اقول فى ذلك كله الا حقا ولنزد فيما اشرنا
اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على
صدقه وانه لا يقول على الله الا حقا ولا يبلغ عن الله الا
صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره
عنى وهو يقول انى رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به
اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحى يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه

فى هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اى وجه كان فلو جوزنا
الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل
فالمعجزة المشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا
واجماعا كما قال ابو اسحق فصل وقد توجهت هنا لبعض
الطاعنين سؤلات منها ما روى من ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لما قرء سورة والنجم وقال افرايتم اللات
والعزى ومنوة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلا وان
شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفى رواية ان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلا وفى اخرى والغرانقة العلى
تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه
المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع فى
بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبى
عليه السلام كان تمنى ان لو نزل عليه شئ يقارب بينه
وبين قومه وفى رواية اخرى ان لا ينزل عليه شئ ينفرهم

عنه

عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاء فعرض النبى
عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين
فحزن لذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الاية وقوله وان
كادوا ليفتنونك فاعلم اكرمك الله ان لنا فى الكلام على
مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما فى توهين اصله
والثانى على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا
الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة
بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون
والمورخون والمواحون بكل غريب المتلقفون من الصحف
كل سقيم وصحيح وصدق القاضى بكر بن العلى المالكى
حيث قال لقد بلى الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير
وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته وهو انقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل
يقول انه فى الصلوة واخر يقول قالها فى نادى قومه

حين انزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته
سنته وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول
ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول
بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قراها
فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من
اختلاف الروايات ومن حكيت هذه الحكاية عنه من
المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها
الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع
فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار
هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم باسناد يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة
الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف

عن

عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر
رح انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من
الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرنا الذي
لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز
الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه
البزار رح والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون
والمشركون والانس والجن هذا توهينه من طريق النقل
فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة
على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ونزاهته عن مثل
هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح
الهة غير الله وهو كفر وان يتسور عليه الشيطان ويشبه
عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى
الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه
جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه

السلام او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمداً وذلك كفر
او سهو وهو معصوم من ذلك كله وقد قررنا بالبراهين
والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه
او لسانه لا عمداً ولا سهواً وان يتشبه عليه ما يلقيه الملك
مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل وان يتقول
على الله لا عمداً ولا سهواً ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات الاية ووجه ثان وهو
استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك اذ هذا الكلام لو كان
كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح
بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين
ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف
بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام
علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاند

المشركين

المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك
احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل
ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت
اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت
في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي القضية
ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي
عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على
بطلها واجتثاث قلع اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين
الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس
به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة هذه القصة
ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان تردان

الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى
يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه
ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف
كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء
بمدح آلهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما
لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف
ولا صحة له وهذا مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله
عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون
الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس
كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار ولم تذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال
القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم
ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل ولا كان ليفعل
قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في
معنى الاية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمته

رسوله

رسوله يرد سفسافها فلم يبق في الاية الا ان الله امتن على رسوله
بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا
من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
مفهوم الاية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك من حال
فقد اجاب عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين
فمنها ما روى قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على
لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته
في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن
عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من
الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا
ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير
التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم هذا ربي على احد
التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت والتوبيخ
وبيان الفصل بين الكلامين وقرينته تدل على المراد وانه
ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض
على هذا بما روي انه كان في الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره
من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما
امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل اي لا يفصل تفصيلا في قراءته
كما رواه الثقاة عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات نغمة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها
من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واشاعوها ولم
يقدح ذلك عند المسلمين بحفظ السورة قبل ذلك على ما
انزلها الله وتحققهم من قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

في ذم

في ذم الاوثان وعيبها على ما عرف منه وقد حكى موسى
ابن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها
وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون
ما روي من حزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه
الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا
قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوته وقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به و
يحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا
نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى
اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه
وهذا السهو في القرآن انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني
وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو
عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو

بل بينه عليه ويذكره للحين على ما سنذكره فى حكم ما
يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر فى تاويله ايضا
ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا
القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة
العلى وان شفاعتهن لترتجى الملئكة على هذه الرواية وبهذا
فسر الكلبى الغرانقة انها الملئكة وذلك ان الكفار كانوا
يعتقدون الاوثان والملئكة بنات الله كما حكى الله عنهم
ورد عليهم فى هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر
الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملئكة صحيح فلما
تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم
الشيطان ذلك وزينه فى قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله
ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين
اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير القرآن
ورفعت تلاوته وكان فى انزال الله تعالى لذلك حكمة ليضل
به من يشاء ويهدى به من يشاء وما يضل به الا الفاسقين

وليجعل

وليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت لهم الاية وقيل
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ
ذكر اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتى
بشئ من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا فى
تلاوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم
وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون و
ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك
واذاعوه وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله فحزن لذلك
من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من
قبلك الاية وبين للناس الحق فى ذلك من الباطل وحفظ القرآن
واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله
انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روى من قصة يونس
عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب

فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله
ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم
ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعا ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم
وقت كذا وكذا فكان كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم
قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
الاية وروي في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخائله قاله ابن
مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشي الثوب
القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان
يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار
الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي
عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث
اخر فيقول له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب كذا فيقول
اكتب كذا فيقول اكتب كذا كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما
فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح

عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد
الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل
للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل
هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي
حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسله
ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بهذه
الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا
ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله افتراه على نبي الله
وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك
هم الكاذبون وما وقع من ذكرها من حديث انس وظاهر
حكايته لها فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله
حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه

ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال
واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل
ولهذا لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد و
الصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه
اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شئ من
ذلك من قبل نفسه الا عن حكايته عن المرتد النصراني
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى
الله تعالى عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان
والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن
وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب
قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او
كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان
ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها
بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة

حسه

حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق
الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق
ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه
من مقاطع الآي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم فاملى احديهما وتوصل الكاتب بفطنته
ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ
ما نسخ كما قد وجد في بعض مقاطع الآي مثل قوله ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه
قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم و
ليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير
المقاطع قراهما معا الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر الى
العظام كيف ننشرها وننشزها ويقضي الحق ويقص الحق
وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله تعالى عليه

وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل انه يكون فيما يكتبه
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله
ويسميه في ذلك كيف ما يشاء فصل هذا القول فيما طريقه
البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي
لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا يضاف الى وحي
بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم عن ان يقع خبره في شئ من ذلك بخلاف
مخبره لا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً وانه معصوم من ذلك في حال
رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل
ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين
الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة
بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شئ وقعت وانه لم يكن
لهم توقف ولا تردد في شئ منها ولا استثبات عن حاله عند
ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي
على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله تعالى

عليه

عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم كيف بك اذا اخرجت من بلادك فقال اليهودي كانت
هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان
اخباره واثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصا تفاصيلها
ولم يرد في شئ منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول
قاله واعترافه في شئ اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل
من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به على الانصار
في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبراً وغير ذلك من الامور
التي ليست من هذا الباب كقوله والله اني لا احلف على يمين
فارى خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن
يميني وقوله انكم تختصمون الى الحديث وقوله اسق يا زبير حتى
يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا
الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضا فان
الكذب متى عرف من احد في شئ من الاخبار بخلاف ما هو
على اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع

قوله في النفوس موقعا ولهذا ما زال المحدثون والعلماء الحديث
عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقة
وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه
كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة
والمرة الواحدة منه فيما يستشنع ويشنع مما يخل بصاحبه
ويزرى بقائله لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان
عددناها من الصغاير فهل يجرى على حكمها في الخلاف فيها مختلف
فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمد
النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة
فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول
في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا يتسامح مع
في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم
وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاقسام في
امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزرى ويريب بهم

وينفر

وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في قريش وغيرها من الامم وسؤالهم
عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به
مما عرف واتفق النقل على عصمته نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب
الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه فصل فان
قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي ثنا به
الفقيه ابو اسحق بن ابراهيم بن جعفر قال ثنا القاضي ابو
الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد قال ثنا ابو عبد الله بن
الفخار قال ثنا ابو عيسى قال ثنا عبيد الله قال ثنا يحيى عن
مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابي احمد
انه قال سمعت ابي هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام
ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن

وفي رواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته
فاخبر بنفي الحالتين وانها لم تكن وقد كان احد ذلك
كما قال ذو اليدين وقد كان بعض ذلك يا رسول الله
فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها
بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف
وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس
طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين
فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من
يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا
عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس
ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه
الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال
وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه
اجوبة منها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر عن اعتقاده

وضميره

وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وباطنا واما النسيان
فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه
فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان ينطق به وهذا صدق وايضا
وجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اى انى سلمت
قصدا وسهوت عن العدد اى لم انسه في نفس السلام وهذا
محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعد ما ذهب اليه بعضهم
وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر
والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رايت
فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها
وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رح والذي اقول
ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار
للحفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات
الحديث الاخر لست انسى فلما قال له السائل اقصر الصلوة

ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان
كان جرى شئ اذ ذلك فقد نسى حتى سال غيره فتحقق انه نسى
واجرى عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل
ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسى
ووجه اخر استفدته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك
نفى عن نفسه النسيان لان النسيان غفلة وافة والسهو انما
هو شغل بال فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو
في صلوته ولا يغفل عنها وانما كان يشغله عن حركات الصلوة
ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة فهذا ان تحقق على هذا المعنى
لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت خلق في قول ووجه
ان ما قصرت الصلوة وما نسيت بمعنى الترك وهو احدى
وجهي النسيان اراد اني لم اسلم من ركعتين تاركا كمال الصلوة
ولكني نسيت ولم يكن من تلقاء نفسي والدليل على ذلك
قوله اني لا انسى او انسى لاسن والله الموفق للصواب

واما

فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال ليس بنبي قال يحتمل
ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا كان
في زمن موسى نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل
الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس
على العموم وانما هو على الخصوص في قضايا معينة لم يحتج الى
اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى
اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من
موسى وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم
فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها
القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد
بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة
به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر
الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه
وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع
الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك

لاخلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير
في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع
على ذلك من الكافة والجمهور قائل منهم بانهم معصومون
من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم
الا حسنا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا
واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء
وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة
اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم
ولم يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة
اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس
في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن
عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي
منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري

في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد
الوهاب لا يمكن ان يقال ان معاصي الله صغيرة الا على
معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع
ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشية
في العفو عنها الى الله وهو قول ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية
وكثير من ائمة الفقهاء قال القاضي ابو الفضل قال بعض
ائمتنا ولا يجب على قولين ان يختلف انهم معصومون
عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا
في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت
الازرا والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء
اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري
بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك
بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه
بما ادى اليه من اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم
الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل

بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع
اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك
والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم
وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابو خويز منداد وابو الفرج عن
مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر
اصحابنا وقول اكثر العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران
من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم
الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله
يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الخطر او المعصية
ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما من يرى
تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا
حجة بان يقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه
السلام مجمعون انه لا يقر على منكر من قول وفعل وانه متى رأى
فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم دل على جوازه فكيف

يكون

يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه
وعلى هذا المأخذ فيجب عصمتهم من موافقة المكروه كما قيل
واذا الخطر والندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل
المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء
باقواله فقد نبذوا خواتيمهم على حين نبذ خاتمه وخلعوا
نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء
حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير
شئ مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يفعله وقال عليه السلام هلا اخبرتها
انى اقبل وانا صائم وقالت عايشة محتجة كنت افعله انا ورسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذى
اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال انى
لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم من ان
يحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم

افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شي منها لما
اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام
على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها
منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة
عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم
من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق هممهم بالله والدار الاخرة
لا ياخذون من المباحات الا الضروريات مما يتقوون به
على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ
على هذا السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرفا في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله
على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم
قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم
وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب
وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها

كا

كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد
اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه
هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء
وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول موجودة ولا معتبرة
في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي
وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة
عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي
ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع
وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ
كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل
تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر بشيء من ذلك جملة
وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون
متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة
غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي لابي بكر
اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام

وترك قطع الحكم عليه بشئ فى ذلك اذ لم يحل احد الوجهين
منها العقل ولا استبان عندها فى حكمها فريق النقل وهو مذهب
ابى المعالى وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله
ثم اختلفوا اهل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن
تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت
هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل
موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب
فى هذه المسألة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضى ابو بكر
وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شئ من ذلك لنقل كما
قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم فى ان عيسى اخر الانبياء
فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى
بل الصحيح انه لم تكن النبى دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام
ولا حجة ايضا للاخرين فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم
حنيفا وللاخرين فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
فحمل هذه الاية على اتباعهم فى التوحيد كقوله اولئك الذين

هدى

وانا قضية كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة فى الحديث
انها كذبات الثلاثة المنصوصة فى القرأن منها اثنتان فى قوله
تعالى انى سقيم و بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته
انها اختى فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا فى القصد ولا فى غيره وهى داخلة فى باب المعاريض التى
فيها مندوحة عن الكذب اما قوله انى سقيم فقال الحسن وغيره
معناه انى ساسقم اى كل مخلوف معرض لذلك فاعتذر لقومه
من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل سقيم بما قدر على من
الموت وقيل سقيم بما شاهدته من كفركم وعنادكم وقيل بل
كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته
وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض
بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم
التى كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره فى ذلك وقبل استقامة
حجته عليهم فى حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو
ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف فى استدلاله عليهم وسقم

نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله تعالى
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما
نصه الله وقد منا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية
فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على
طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما
قوله اختى فقد بين فى الحديث وقال انك اختى فى الاسلام
وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت
فهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها كذبات وقال
لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات وقال فى حديث الشفاعة
للناس يوم القيمة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما
كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام
من مؤاخذته بها واما الحديث كان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف فى القول
انما ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه

بذكر

ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو فى الافعال فغير مناقض
لها ولا قادح فى النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب
من سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى
كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى نعم بل حالة النسيان
والسهو هنا فى حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير
شرع كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم انى لانسى او انسى
لاسن بل قد روى لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه
الحالة زيادة له فى التبليغ وتمام عليه فى النعمة بعيدة عن
سمات النقص واعراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك
يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون
عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح
وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه
البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما
يختص به من اموره واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر
من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها

ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاسات
الخلق وسياسات الامة ومعانات الاهل وملاحظة الاعداء
ولكن ليس على سبيل التكرار والاتصال بل على سبيل الندور كما
قال عليه السلام انه ليغان على قلبى فاستغفر الله وليس فى هذا
شئ يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو
والنسيان والغفلات والفترات فى حقه عليه السلام جملة وهو
مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات
ولهم فى هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله

فصل فى الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام

فقد قدمنا فى الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السلام وما يمتنع
واحلناه فى الاخبار جملة وفى الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه
فى الافعال الدينية على الوجه الذى رتبناه واشرنا الى ما ورد
فى ذلك ونحن نبسط القول فيه والصحيح من الاحاديث الواردة
فى سهوه عليه السلام فى الصلوة ثلثة احاديث اولها حديث
ذى اليدين فى السلام من اثنتين الثانى حديث ابن بحينة فى القيام

مر

بذكر السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكر
السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره
لانه يقول نجهزوا الى غزوة كذا او وجهنا الى موضع كذا خلاف
مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان
قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اى الناس
اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك ان لم يرد العلم اليه
الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا
خبر قد انبا نا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع فى هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احداً اعلم
منك فاذا كان جواب على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف
فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده
كما لو صرح به لان حاله فى النبوة والاصطفا يقتضى ذلك
فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقاً
لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما يقتضيه وظائف
النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة

ويكون الخضر اعلم منه باموراخر مما لا يعلم احد الا باعلام
الله من غيبه كالقصص المذكورة فى خبرهما فكان موسى اعلم
على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص مما اعلم ويدل عليه
قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله عليه ذلك فيما
قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت
الملئكة لا علم لنا الا ما علمتنا هذا ولانه لم يرض قوله شرعا و
ذلك والله لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله فى تزكية نفسه
وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنته من مدح نفسه
ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطى والدعوى وان نزه
عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك
ليلها الا من عصمه الله والتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى
به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به
انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين
بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولى اعلم
من النبى واما الانبياء فيتفاضلون فى المعارف وبقوله وما

فعلته

هدى الله فبهديهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث
ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول
من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم
فى هذه الاية وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل
ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى
وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول فى سائر
الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم اما من الاتباع عقلا
فيطرد اصله فى كل رسول بلا مرية واما من قال الى النقل
فانما تصور له وتقرر له اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله
ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته فى
نبى فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد
وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون
بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان فى الوظائف الشرعية مما
تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب وترك المؤاخذة عليه فاحوال
الانبياء فى ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم

سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع
وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعهم
فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب
وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام
وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا
في الافعال في هذا الباب لا يجوز طرد المخالفة فيها لا عمدا
ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء فطروا
هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن
واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد
هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء
والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام
الشرعية سهوا ومن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر
من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين
الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول

و

من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو
في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به ان البلاغ بالفعل
اجلى منه بالقول وادفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو
بل يشعر به ليرتفع الالتباس ويظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه
وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة
ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى
كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد
اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال
عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك
من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب
ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم
اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل
ما قاله ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في المنام او انسى
على سبيل عادة البشر من الذهوب عن الشئ والسهو او انسى

مع اقباله عليه وتفرغه له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان
له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر
وذهب طائفة من اصحاب المعانى والكلام على الحديث الى ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو فى الصلوة ولا ينسى لان
النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو فى
صلوته ويشغله عن حركات الصلوة ما فى الصلوة شغلا بها
لا غفلة عنها واحتج بقوله فى الرواية الاخرى انى لا انسى
وذهب طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه
السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه
متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا
ساهيا فى حال ولا حجة لهم فى قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان
ليسن لقوله انى لانسى لاسن فقد اثبت عليه السلام احد الوصفين
ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى
كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا الاشعرية

وهو

وهو ابو المظفر الاسفرانى ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه
ولا حجة لهاتين الطائفتين فى قوله انى لا انسى ولكن انسى
اذ ليس فيه نفى حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفى لفظه وكراهة
لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسى
او نفى الغفلة وقلة اهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها
عنها ونسى بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج
وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فيشغل بطاعة عن طاعة
وقيل ان الذى ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وبه احتج مذهب الى جواز تاخير الصلوة فى
الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين
والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان
قلت فما تقول فى نومه عليه السلام عن الصلوة يوم الوادى
وقد قال ان عينى تنامان ولا ينام قلبى فاعلم ان للعلماء عن ذلك
اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وغيبته فى
غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف

عادته ويصح هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه
ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت على نومة مثلها
قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم
وتاسيس سنته واظهار شرع كما قال في الحديث الاخر لو شاء الله
لايقظنا ولكن اراد ان يكون طريق لمن بعدكم الثاني ان قلبه
لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه
كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه
ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه نومه مع
اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد النوم اذ لعل
ذلك لملامسة الاهل او الحدث اخر فكيف وفي الحديث الاخر
نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى
ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم
وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس
هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا
ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته

من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح فقيل في الجواب
انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعات
اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح
الظاهرة فوكل بلالا بمراعات اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل
بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه
السلام عن قول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى
كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا
اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ
اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا محمول على ما نسخ نقله
من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره
اليها ليمحوا ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله
تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى الله
تعالى عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل
الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه
واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الايات جائز

عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من الله او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ
ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره
اياه ويستحيل دوام نسيانه لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على ما اجاز عليهم الصغائر والجواب على ما احتجوا به
في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء
والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك
بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت
بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف
ولما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات
في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه
من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما
احتجوا به قديما وقامت الدلائل على خطأ قولهم وصحة غيره

وجب

وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها ان
شاء الله فمن ذلك قوله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب اليم وقوله
عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص غيره
من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما
صالحا جعلا له شركاء الاية وقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا
الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر
من قصته وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر
ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به
وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه
موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت واخرت

واسررت واعلنت ونحوه من ارعيته عليه السلام وذكر
الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله
عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث
ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من
سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني
الاية وقد كان قال الله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وفي قوله ولقد فتنا
الى ما اشبه هذه الظواهر واما احتجاجهم بقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه
المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل
المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور
له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه
احمد بن نصر وقيل المراد بذلك على امته عليه السلام وقيل
المراد ما كان من سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره

القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تأخر ذنوب
امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله
والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
قال مكي مخاطبة النبي عليه السلام ههنا هي مخاطبة لامته
وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما امر ان يقول وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وبما للمؤمنين
في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك
مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة
هنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول
ابن زيد والحسن والمعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ
قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه
السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك

ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري
وقيل خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك
ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل
النبوة اهتمام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بامور فعلها قبل
نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته عن ذنوب
لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عنه
وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ
ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
فامر لم يتقدم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه من الله تعالى
نهي فيعد معصيته ولا عدة الله تعالى عليه معصية بل لم يعده
اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد
حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له
ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله

تعالى

تعالى له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه
فيما فعل وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال
وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف الكلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي
روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله
واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله
في اسارى بدر ما كان لنبي ان تكون له اسرى الايتين فليس
فيه الزام ذنب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه بيان
ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان
هذا النبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم
تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا
الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه

لغرض الدنيا وحب والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روى عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس
بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم
العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق سبق ان لا اعذب احداً
الا بعد النهي لعذبكم فاختلف المفسرون في معنى الاية فقيل
معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احداً الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينبغي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم
بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنايم ويزداد هذا القول تفسيراً وبياناً بان يقال لولا ما
كنتم مومنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم
كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها
حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل
ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً
وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روى عن علي

رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله تعا
عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا
الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل
منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم
فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره
من الاتخاذ والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري
وقوله عليه السلام في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب
ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رأيه ورأي من اخذ
بما اخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه
القصة لو استوجبت عذاباً نجا منه عمر ومثله وعين عمر
لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذاباً
لحله لهم فيما سبق وقال الداوودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت
لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما
لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه

الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلا اخبر الله بنبه في هذه
الاية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفدا وقد
كان قبل هذا فادا وافي سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن
الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك
قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى
ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد
لعظم امر بدر وكثرة اسراها اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم
ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب
وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى
الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله
ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى ما لو
كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله
وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية

ومخالفة

ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين
وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما
عليك ان لا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ابو تمام وما قصه ادم عليه السلام
وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى
عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل
اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا
الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس
له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية
قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه
عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا
بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله
حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن جبير حلف
بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة

فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين
على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا
فيه ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان
ناسيا لم تكن معصية وكذا ان كان ملبسا عليه غالطا اذ
الاتفاق على خروج الناسى والساهى عن حكم التكليف
وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك
قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهدى
كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها
الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة
لا على الجنس ولذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من
المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل
فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم وقال فتاب عليه
وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل
الشجرة فعصيت فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر

الفصل

الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد مضى الكلام
على بعضها انفا وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيه
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه
خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم
العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب
ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف
عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا
وكله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه
وقوله ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون اى تباعد
واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير
موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه واما ان يكون
لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه
بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ
وقال الواسطى معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم
الى نفسه اعترافا واستحقاقا وقيل هذا قول آدم وحوا

ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما غير الموضع الذى
انزل فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة
داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطر فيها الاخباريون
عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح
والذى نص الله عليه بقوله وظن داود انما فتناه الى قوله
وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعناه فتناه اى اختبرناه
واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى وقال ابن عباس
وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل عن امراتك
واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله
بالدنيا وهذا الذى ينبغى ان يقول عليه من امره وقد قيل
خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فظلمه بقول خصمه ولى
نفى ما اضيف الى داود فى الاخبار من ذلك ذهب احمد بن نصر

وابو

وابو تمام وغيرهما من المحققين وقال الداوودى فليس
فى قصة داود عليه السلام فلا يظن بنبى محبته قتل
مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان
فى نعاج غنم على ظاهر الاية واما قصة يوسف واخوته
فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم
فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم
فى القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من انبياء
الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما
فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين
اجتمعوا به بمصر ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب
وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله ولقد
همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير
من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست
سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدى فلم يعملها
كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذن على مذهب المحققين

من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس
سيئة واما ما توطن عليه النفس من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف
عن هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اى ما ابرئها
من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع و
الاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى
ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام تقديم
وتأخير اى ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربى لهم
بها وقال الله تبارك وتعالى عن المراة ولقد راودته عن
نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال
معاذ الله انه ربى احسن مثواى الاية قيل فى ربى الله وقيل
الملك زوج زليخا وقيل هم بها اى بزجرها ووعظها
وقيل هم بها اى غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظرا
اليها وقيل هم بها اى بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان

قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل
شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل
من راه عن حسنه واما خبر موسى مع قتيله الذى وكزه فقد
نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين
فرعون ودليل الصورة فى هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال
قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية فى ذلك
وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لى قال
ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل حتى يؤمر وقال
النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه يريد بها دفع
ظلمه قال وقد قيل ان كان هذا قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة
وقوله تعالى فى قصته وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء بعد
ابتلاء قيل فى هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه
فى التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا
قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة فى النار اذا خلصتها
واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل

فى عرف الشرع فى اختيار اذى الى ما يكره وكذلك ما روى فى الخبر
الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينها ففقأها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدى وفعل ما لا يجب
له او هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن
نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له فى صورة ادمى ولا يمكن
انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت
الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصور له فيها الملك امتحانا
من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم
وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها
عندى وهو تاويل شيخنا الامام ابو عبد الله المازرى وقد
تاوله قديما ابن عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقاء
عين حجته وهو كلام مستعمل فى هذا الباب فى اللغة معروف
واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله
ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكى عن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة

امرأة

امرأة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد فى
سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن
الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل
الله قال اصحاب المعانى والشق هو الجسد الذى القى على كرسيه
حين عرض عليه وهى عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقى على
كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه
لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى وقيل
عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق
لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه
ولا يصح ما نقله الاخباريون من خرافاتهم على ما فعله
من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى امته
بالجور فى حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد
عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان فى القصة
المذكورة ان شاء الله ففيه اجوبة احدها ما روى فى الحديث

الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني
انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن
مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما
سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول
من قال ذلك وقيل بل اراد ان تكون له من الله فضيلة وخاصة
يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه
وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه
واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهره
العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
انا منجوك واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي
عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله
الذين وعدهم بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه
انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التاويل

وعتب

وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن
له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه
وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصيته سوى
ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيمن لم يؤذن له فيه
ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته النملة فحرق
قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من امم
تسبح فليس في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل ما راه
مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما
اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما
اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس
فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى
احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في
خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها
من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصي

ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار
منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله صلى الله تعالى عليه
وسلم ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما
قال صلى الله تعالى عليه وسلم فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب
الانبياء التى وقعت من غير قصد وعن سهو وعن غفلة منهم
فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب
والمعاصى بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين
فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر فى القران
والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل
يشفق ويتاب ويستغفر من لا شئ فاعلم وفقنا الله اياك
ان درجة الانبياء فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنة
فى عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف
منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لم يواخذ به غيرهم
وانهم فى تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا
عليها

عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة او اتوها
على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة
خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى على منصبهم
ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم
ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشئ الدنى الرذل
ومنه ذنب كل شئ اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذا
ادنى افعالهم واسوء ما يجرى من احوالهم لتطهرهم وتنزههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب
والذكر الظاهر والخفى والخشية لله واعظامه فى السر والعلانية
وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة
اليه هذه الهناة فى حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين اى يرونها بالاضافة الى احوالهم كالسيئات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف
ما كانت من سهو او تاويل فهى مخالفة وترك وقوله غوى
اى جهل ان تلك الشجرة هى التى نهى عنها والغى الجهل وقيل

اخطأ ما طلب من الخلود اذ كلها وخابت امنيته وهذا يوسف
عليه السلام قد اخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند
ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكر لسيده
الملك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا كلمة يوسف
ما لبث وقال ابن دينار لما قال يوسف ذلك قيل له اتخذت
من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسي قلبي كثرة
البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف
ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على
سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به
غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذن
في هذا اسوء من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة
في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول حالا انهم يؤاخذون
بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون

بذلك

بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم
اجتباه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية
وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس
وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى
وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر
وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه
وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم
بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
وليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة
ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم
ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين وقال
ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت
نقصا له ولكن استزادة من نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم وايضا فيقال لهم انكم ومن وافقكم تقولون بغفران
الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من

الكبائر فما جوزتم به وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على
هذا فما معنى المؤاخذة بها اذن عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم
منها وهي مغفورة لو كانت فما اجاد ابو بكر فهو جوابنا عن المؤاخذة
بافعال السهو والتأويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه
ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله
على نعمه كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم وقد امن من المؤاخذة
بما تقدم وتأخر افلا اكون عبداً شكوراً وقال اني اخشاكم
لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد خوف الملئكة و
الانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا
ذلك ليقتدي بهم وتستن بهم اممهم كما قال صلى الله تعالى
عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً
ايضا فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه
بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء

الاستغفار

الاستغفار والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة
الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه
بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا فصل قد استبان لك ايها الناظر
بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل
بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك
كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعاً وقبلها سمعا ونقلا
ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي
قطعاً عقلاً وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول
منذ نبأه الله وارسله قصدا واستحالة ذلك عليه
شرعاً واجماعاً ونظرا وبرهانا وتنزيهه عن الكبائر اجماعاً
وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار
الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل
حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه

بالیمین ونشد علیه ید الضنین ونقدر هذه الفصول حق قدرها
ونعلم عظیم فائدتها وخطرها فان من یجهل ما یجب للنبی
صلی الله تعالی علیه وسلم او یجوز او یستحیل علیه ولا یعرف
صور احکامه لا یأمن ان یعتقد فی بعضها خلاف ما هی علیه
ولا ینزهه عما لا یجب ان یضاف الیه فیهلك من حیث لا
یدری ویسقط فی هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن
الباطل به واعتقاد ما لا یجوز علیه یحل بصاحبه دار البوار
ولهذا ما احتاط علیه السلام علی الرجلین اللذین راٰیاه لیلا
وهو معتکف فی المسجد مع صفیة فقال لهما انها صفیة ثم
قال لهما ان الشیطان یجری من ابن ادم مجری الدم وانی خشیت
ان یقذف فی قلوبکما شیئا فتهلکا قال القاضی هذه اکرمك
الله احدی فوائد ما تکلمنا علیه فی هذه الفصول ولعل
جاهلا لا یعلم بجهله ان اسمع شیئا منها یری ان الکلام فیها
جملة من فضول العلم وان السکوت اولی وقد استبان لك
انه متعین للفائدة التی ذکرناها وفائدة ثانیة یضطر الیها

فی

فی اصول الفقه ویبتنی علیها مسائل لا تعد من الفقه ویتخلص بها
من تشغیب مختلفی الفقهاء فی عدة منها وهی الحکم فی اقوال النبی
صلی الله تعالی علیه وسلم وافعاله وهو باب عظیم واصل
کبیر من اصول الفقه ولا بد من بنائه علی صدق النبی صلی الله تعالی
علیه وسلم فی اخباره وبلاغه وانه لا یجوز علیه السهو فیه
وعصمته من المخالفة فی افعاله عمدا وبحسب اختلافهم فی وقوع
الصغائر وقع خلاف فی امتثال الفعل بسط بیانه فی کتب ذلك
العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة یحتاج الیها الحاکم والمفتی
فیمن اضاف الی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم من هذه الامور
ووصفه بها فمن لم یعرف ما یجوز وما یمتنع علیه وما وقع
الاجماع فیه والخلاف کیف یصمم فی الفتیا فی ذلك ومن
این یدری هل ما قاله فیه نقص او مدح فاما ان یجترئ
علی سفك دم مسلم حراما او یسقط حقا ویضیع حرمة
للنبی صلی الله تعالی علیه وسلم وبسبیل هذا ما قد اختلف
ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققین فی عصمة الملئکة

فصل في القول في عصمة الملئكة اجمع المسلمون ان الملئكة
مؤمنون فضلا واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم
حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في
حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا
في غير المرسلين منهم فذهب طائفة الى عصمة جميعهم واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا
لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون ويقولون ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الاية وقوله كرام بررة وقوله لا يمسه الا المطهرون
ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص
للمرسلين والمقربين منهم فاحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار
والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة
جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار

الى

الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان الكلام
في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى
فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ههنا فمن احتج به من لم
يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر
فيها اهل الاخبار ونقله المفسرون وما روي عن علي وابن
عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار
لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي
في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال فيه بعضهم
كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود
وافترائهم كما قصه الله اول الايات من افترائهم بذلك على
سليمن وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة
وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات
ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما
ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة

ملكين او ملكين وهل ما فى قوله وما انزل على الملكين وما
يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله
امتحن الناس بالملكين وما يعلمان من احد لتعليم السحر
وتبيينه وان عمله كفر فمن يعمله كفر ومن تركه امن قال الله
تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمها الناس تعليم انذار اى
يقولون لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين
المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى
هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية
وهى لغيرهما فتنة وروى ابن وهب وعن خالد بن ابى عمران
انه ذكر عنده هاروت وماروت انهما يعلمان السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا وقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد
لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن
تعليم السحر الذى قد ذكر غيره انهما ماذون لهما فى تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف
لا ينزههما عن كبائر المعاصى والكفر المذكورة فى تلك الاخبار

وقد

وقول خالد لم ينزل عليهما يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس
قال مكى وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذى
افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود وما انزل على
الملكين قال مكى هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجىء
به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله فى ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت وقيل هما
رجلان يعلمان قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل
بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا
على هذا وكذلك قرأ عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه
قال الملكين هنا داود وسليمان نفيا على ما تقدم وقيل كانا
ملكين من بنى اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندى والقراءة
بكسر اللام شاذة فمحمل الاية على تقدير مكى حسن ينزه
الملئكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم
الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم
ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملئكة ورئيسا

فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوا وانه استثناه الله
من الملئكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق
عليه بل الاكثرون ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس
وهو قول الحسن وقتاده وابن زيد وشهر بن حوشب كان
من الجن الذين طردتهم الملئكة فى الارض حين افسدوا
والاستثناء من غير الجنس شايع فى كلام العرب سايغ
وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما
رووه فى الاخبار ان خلقا من الملئكة عصوا الله فحرقوا
وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك
حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس فى اخبار لا اصل لها
تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها الباب الثانى فيما يخصهم
من الامور الدنيوية ويطرء عليهم من العوارض البشرية
قد قدمنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء
والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز
عليه من الافات والتغيرات والالام والاسقام وتجرع

كاس

كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه
لان الشئ انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل
من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون
ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض
صلى الله تعالى عليه وسلم واشتكى واصابه الحر والقر
وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله
الاعيا والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش
شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقى السم وسحر
وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفى صلى
الله تعالى عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من
دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التى لا محيص
عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوه
قتلا ورموا فى النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه
الله ذلك فى بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد
نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم

احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته لاسلام اهل
الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور
وامسك الله عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة
ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من
سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام
حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته
فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل
الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم
ضلال النصارى بعيسى بن مريم وليكون في محنهم تسلية
لاممهم ووفور اجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن
اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغيرات المذكورة
انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها البشر ومعاناة
بني ادم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزه غالبا عن ذلك
معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى والملئكة لاخذها
عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله تعالى عليه

و

وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست
كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى
ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف
جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف
وجوع وسهو ونوم لا يحل شئ منها باطنه بخلاف غيره
من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم
جسمه وقلبه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم في نومه حاضر
القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الاثار انه كان
محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه
وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك وخارت قوته فبطلت
بالكلية جملة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه
ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من
وصب ومرض وضجر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به
ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري

غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه فصل فان قلت فقد جاءت
الاخبار الصحيحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم سحر كما ثنا
ابو محمد العتابي بقراتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد قال ثنا
ابو الحسن علي بن خلف قال الشيخ ثنا محمد بن احمد قال ثنا
محمد بن يوسف قال ثنا البخاري ثنا عبيد بن اسماعيل قال
ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة
قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه
ليخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله وفي رواية اخرى حتى
كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث
وان كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو
معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح
متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف
عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد
نزه الله الشرع والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عما يدخل

في امره

في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز
عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد
انه كان يخيل اليه انه فعل الشئ ولم يفعله فليس في هذا ما يدخل
عليه داخلة في شئ من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه
لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما
يجوز طروه عليه من امور دنياه التي لم يبعث بسببها ولا
فضل من اجلها وهو فيها عرضة للافات كساير البشر فغير
بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه
كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله
حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان
وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل
عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعل ولم يفعله وانما
كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان
يتخيل الشئ انه فعله وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته
فيكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة

هذا وما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع
ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل
وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل اجلى وابعد
من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث
وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب
وعروة ابن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينكر بصره وروى البيهقي عن محمد
بن سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرض رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس عن النساء والطعام و
الشراب فهبط ملكان وذكر القصة ثم دله الله على ما صنعوا
فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن
يعمر حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة
سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان احدهما عند رأسه والآخر
عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله

صلى

صلى الله تعالى عليه عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره
فقد استبان ذلك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط
على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما
اثر في بصره وحبسه عن وطئ وطعامه فاضعف جسمه فامرضه
نسائه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن
ان يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء
فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن
كما يعتري من أُخِذَ واعترض ولعل لمثل هذا اشار سفيان بقوله
وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية
الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما
اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من
بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل
اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في
ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتأثيره
فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا فصل هذه

حالة فى جسمه فاما احواله فى امور الدنيا فنحن نسبرها على
اسلوبها المتقدم بالعقل والقول والفعل اما العقد منها فعقد
يعتقد فى امور الدنيا على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك
او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان العاص وغير
واحد سماعا وقراءة قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر قال ثنا ابو
العباس الرازى قال ثنا ابو احمد بن عمرويه قال ثنا ابن سفيان
قال ثنا مسلم قال ثنا عبد الله بن الرومى وعباس العنبرى
واحمد المعقرى قالوا ثنا النضر بن محمد قال ثنا عكرمة قال
ثنا ابو النجاشى قال ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل فقال
ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا
فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم
بشئ من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشئ من رأيى فانما انا
بشر وفى رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفى حديث آخر
انما ظننت ظنا فلا تواخذونى بالظن وفى حديث ابن عباس

فى قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما
انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسى
فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من
قبل نفسه فى امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل
نفسه واجتهاده فى شرع شرعه وسنته سنها وكما حكى ابن
اسحق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن
المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراى
والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراى والحرب والمكيدة قال
فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتى ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور
ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأى
وفعل ما قاله وقد قال الله له وشاورهم فى الامر واراد
مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار
فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور
الدنيا التى لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا
تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس فى هذا كله نقيصة

ولا محطه وانما هي امور اعتبارية يعرفها من جربها وجعلها همه
وشغل نفسه بها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مشحون القلب
بمعرفة الربوبية ملاء الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح
الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور
ويجوز في النادر وفيما سبيله التوقي في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه
السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة
فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته
من هذا الكتاب فصل واما ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية
على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصالح من
المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم
تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء
فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار ثنا الفقيه
ابو الوليد قال ثنا الحسين بن محمد الحافظ قال ثنا ابو عمر قال

ثنا

ثنا ابو بكر قال ثنا ابو داود قال ثنا محمد بن كثير قال اخبرنا
سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الحديث وفي حديث الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون
ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه
عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة
الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك وانه تعالى لو شاء لاطلعه
على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد
يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف وبينة او يمين او شبهة
ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله
وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره
الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك
ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته
لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو

اذا فى تلك بالمكنون من اعدم الله له بما اطلعه عليه سرائرهم
وهذا مما لا يعلمه الا الله فاجرى الله احكامه على ظواهرهم التى
يستوى فى ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به فى
تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك
على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول
ورافع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر
اجلى فى البيان واوضح فى وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات
التشاجر والخصام وليقتدى بذلك كله امته ويستوثق
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطى ذلك عنه من علم
الغيب الذى استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما
شاء ولا يقدح هذا فى نبوته ولا يفصم عروة من عصمته
فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال
غيره ولا يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع
عليه فى كل حال وعلى اى وجه من عمد او سهو او صحة او مرض

او رضى او غضب فانه معصوم منه صلى الله تعالى عليه
وسلم فيما طريقه المحض مما يدخله الصدق والكذب واما
المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها
فى الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته صلى
الله تعالى عليه وسلم عن وجه مغازيه لئلا يأخذ
العدو حذره وكما روى عن ممازحته ودعابته لبسط امته
وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا فى محبتهم
ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله
للمرأة التى سألته عن زوجها اهو الذى بعينه بياض
وهذا صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان فى عينه
بياض وقد قال عليه السلام انى لامزح ولا اقول
الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورة
الامر والنهى فى الامور الدنيوية فلا تصح منه ايضا
ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشئ او ينهى احدا عن شئ
وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبى

ان يكون له خائنة الاعين فكيف يكون له خائنة قلب
فان قلت فما معنى اذ قوله تعالى فى قصة زيد واذ تقول
للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك
الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب فى تنزيه النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها
وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما فى هذا ما حكاه اهل التفسير عن على بن حسين
ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من
ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك
زوجك واتق الله واخفى منه فى نفسه ما اعلمه الله به
من انه يستزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج
وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهرى
قال نزل جبريل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان
الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذى اخفى فى نفسه
ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله تعالى بعد هذا وكان

امر الله

امر الله مفعولا اى لا بد لك ان تزوجها ويوضح هذا ان الله
لم يبد من امره معها غير ازواجه لها فدل انه الذى اخفاه عليه
السلام مما كان اعلمه الله به وقوله تعالى فى القصة ما كان
على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن
عليه حرج فى الامر قال الطبرى ما كان الله ان يؤثم نبيه فيما احل
مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله فى الذين
خلوا من قبل اى من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روى
فى الحديث قتادة من وقوعها زينب فى قلب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم عند ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه
اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة
الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضيه
ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيرى هذا
اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهى بنت عمته
ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه

السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها
وتزويج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياها لازالة حرمة
التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم
وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما
الفائدة في امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بامساكها
فهو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم عن طلاقها اذ لم يكن بينهما الفة
واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي
قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله بزواجها ليباح
مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها
قمعاً للشهوة ورداً للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه
انه راها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع
عليه ابن آدم من استحسانه الحسن ونظرة الفجأة معفو

عنها

عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر
تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه
عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء
وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول
ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين
من اهل التفسير قال والنبي عليه السلام منزه عن
استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه
وقد نزهه الله تعالى عن ذلك بقوله ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي عليه
السلام فقد اخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف
وانما معناه الاستحياء اي يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة
ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج
زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان
فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله لهم

كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه فى سورة التحريم بقوله لم
تحرم ما احل الله لك الآية كذلك قوله له ههنا وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه وقد روى عن الحسن وعايشة لو كتم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكتم هذه الآية لما فيها
عن عتبه وابدا ما اخفاه فصل فان قلت قد تقررت عصمته
عليه السلام فى اقواله فى جميع احواله وانه لا يقع منه فيها
خلف ولا اضطراب فى عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض
ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى
الحديث فى وصيته عليه السلام الذى ثنا به القاضى الشهيد
ابو على رحمه الله قال ثنا القاضى ابو الوليد قال ثنا ابو ذر
قال ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف
قال ثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا على بن عبد الله قال ثنا عبد
الرزاق بن همام عن معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن
عبد الله عن ابن عباس قال احتضر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وفى البيت رجال فقال النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع
اقبلوا الحديث وفى رواية ائتونى اكتب لكم كتابا لن تضلوا
بعدى ابدا فتنازعوا فقالوا ماله اهجر استفهموه فقال
دعونى فان الذى انا فيه خير وفى بعض طرقه ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يهجر وفى رواية هجر ويروى
اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
وكثر اللغط فقال قوموا عنى وفى رواية واختلف اهل البيت
واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال
ائمتنا فى الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غير
معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة
وجع وغشى ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون
منه من القول اثناء ذلك ما يطعن فى معجزته ويؤدى الى فساد

في شريعته من هذيان او اختلال في كلام زاهد وعلى هذا
لا يصح ظاهره رواية من روى هجرا اذ معناه هذى ويقال
هجر يهجر هجرا واهجر هجرا اذا فحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح
والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا تكتب وهكذا
روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في
حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن
عيينة وهكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه
الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره
وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام
وتقديره اهجر او ان يحمل قول القائل هجرا واهجر دهشة من
قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى
الله تعالى عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي
اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى
لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع
لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على

حراسته

حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما
على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث
ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا
الى المختلفين عنده صلى الله تعالى عليه ومخاطبة لهم من بعضهم
اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق
وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد
امره لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من
اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام
لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمه بل امر رده الى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف
عنه اذ لم يكن عزمة ولما راى صواب راى عمر ثم هؤلاء
قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان يدخل

عليه مشقة فى ذلك كما قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اشتد به الوجع وقيل خشى عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها
فيحصلون فى الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة فى تلك
الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون
المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس
الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام
اوصيكم بكتاب الله وعترتى وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على
من نازعه لا على امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد
قيل ان عمر خشى تطرق المنافقين ومن فى قلبه مرض لما كتب
فى ذلك الكتاب فى الخلوة وان يتقولوا فى ذلك الاقاويل
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار
هل يتفقون على ذلك او يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت
طائفة اخرى ان معنى هذا الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب لمن طلب منه لا انه ابتداء بالامر به

بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم
للعلل التى ذكرناها واستدل لهذه القصة بقول العباس لعلى
انطلق بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كان
الامر فينا علمناه وكراهة على هذا وقوله والله لا افعل الحديث
واستدل بقوله دعونى فان الذى انا فيه خير اى الذى انا
فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعونى
مما طلبتم وذكر ان الذى طلب كتابه لهم امر الخلافة بعده
وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذى حدثناه
الفقيه ابو الخشنى بقراءتى عليه قال ثنا ابو على الطبرى قال
ثنا عبد الغافر الفارسى قال ثنا ابو احمد الجلودى قال ثنا
ابراهيم بن سفيان قال ثنا مسلم بن الحجاج قال ثنا قتيبة
قال ثنا ليث عن سعيد بن ابى سعيد عن سالم مولى النصريين
قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى
قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته

اوسببته اوجلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك
يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي
رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته
اولعنته اوجلدته فاجعلها له زكوة وصلوة ورحمة وكيف
يصح ان يلعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من لا يستحق
اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد
اويفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم
شرح الله صدرك ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اولا ليس
لها باهل اي عندك يارب في باطن امره فان حكمه عليه السلام
على الظاهر كما قال والحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده
اوادبه بسبه اولعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا له
لشفقته على امته ورافته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها
وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه ولعنه
له رحمة وهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله
الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من



مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما
يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون
المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه
وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة
فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم
امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد
من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن
على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس
المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك
وعقرى حلقى وغيره من دعواته وقد ورد في صفته في غير
حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن
سبابا ولا فحاشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند
المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا
المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة
فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له

زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه
وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من
لعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن تقبل دعائه ما يحمله
على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك منه سؤالا لربه لمن جلده
او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصابه
وتمحية لما اجترمه وان يكون عقوبة له في الدنيا سبب العفو
والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا
فعوقب فهو كفارة له فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين تخاصمه مع الانصاري
في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين ان كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ان يقع بنفس مسلم
منه في هذه القصة امر ريب ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم
ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط



والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للزبير حقه وقد ترجم البخاري
على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه
بالحكم اما ما ذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون
هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله تعالى
عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان
نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب
والرضاء سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما
جاء في الحديث الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته
عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع
في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب
عصا فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة

ان يتعمدك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك
في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص
منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد
اخرى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك
حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه
السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه
السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفى عنه واما
حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وانا متخلق فقال وَرَسْ وَرَسْ حَطِّ حَطِّ وغشيني بقضيب
في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف
الى بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر راه ولعله لم يرد بضربه
بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل
منه على ما قدمناه فصل واما افعاله عليه السلام الدنيوية
فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز

السهو

السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل
ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب
بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه
اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه الا ضرورة وما
يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم
شريعته ويسوس امته وما كان بينه وبين الناس من ذلك
فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله
او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد
وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته
وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال
ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي
اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على
الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واعانة الصارخ
وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه
ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة

لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره
خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل
هذا في الامور الدينية مماله الخيرة في احد وجهيه كخروجه
من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل
المنافقين وهو على يقين من امرهم موالفة لغيرهم ورعاية
للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل
اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابرهيم
عليه السلام مراعات لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها
وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم
للدين واهله فقال لعايشه في الحديث الصحيح لولا
حدثان قومك بالكفر لا تممنا البيت على قواعد ابرهيم
ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من
ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت
من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه
للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول

ان

ان من اشرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب
ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم
من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه
وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث
اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع
الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق
ولا يبطن على جلسائه ويقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة
الاعين فان قلت فما معنى قوله لعايشة في الداخل عليه بئس ابن
العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سالته عن
ذلك قال ان من اشرار الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان
يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله
عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن
ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويرى مثله فينجذب
الى الاسلام بذلك ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من
حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستالفهم

باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان
لقد اعطانى وهو ابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى صار
احب الخلق الى وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو
تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه
ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعاً متبوعاً ومثل
هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا
بل واجبا فى بعض الاحيان كعادة المحدثين فى تجريح الرواة و
المزكين فى الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد فى حديث
بريرة من قوله عليه السلام لعايشة وقد اخبرته ان موالى
بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام
اشتريها واشترطى لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال
ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله كل شرط
ليس فى كتاب الله فهو باطل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم
ما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها من قبل متى شرطوا ذلك

عليها

عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة
فاعلم اكرمك الله ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عما
يقع فى بال الجهل من هذا ولتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطى
لهم الولاء اذ ليست فى اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا
اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى ولئك هم
اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطى عليهم الولاء
لك او يكون قيام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه
لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان
لان قوله عليه السلام اشترطى لهم الولاء ليس على معنى الامر
لكن على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه
لهم لا ينفعهم بعد بيان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطى ولا تشترطى
فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودى وغيره وتوبيخ
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل

على علمهم قبل هذا به الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء
اى اظهرى لهم حكمه وبينى عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق
ثم بعد هذا قام هو صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا
على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف
عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية فى رحله واخذه باسم
سرقتها وما جرى على اخوته فى ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله
لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه فى دين
الملك الا ان يشاء الله فاذا كان كذلك فلا اعتراض به وان كان
فيه وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا
تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى
يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك
واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم
عليه جواب كل شبهة ولعل قائله ان حسن له التأويل كائنا
من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم

قيل

قيل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان نقول للانبياء
ما لم يأت انهم قالوا حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار
عن زلات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة فى اجراء الامراض وشدتها
عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه
واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله كلها عدل
وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلى عباده كما قال لهم
لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن
زيادة فى مكانتهم ورفعة فى درجاتهم واسبابا لاستخراج
حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعاء والتضرع منهم وتاكيد البصائرهم فى رحمة الممتحنين

والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسوئهم ليتأسوا
في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر
ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله
تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اجزل
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ قال ثنا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا
ابو علي السنجي قال ثنا محمد بن محبوب قال ثنا عيسى الترمذي
قال ثنا قتيبة قال ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن
مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس
اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على
حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض
وما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه
ربيون كثير فما وهنوا الايات الثلث وعن ابي هريرة ما يزال
البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما
عليه خطيئة وعن انس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد

الله

الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث
اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي
ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين
فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب
والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان
ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته اليه في الصلاة
ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف
على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهما جار يتيم فشم ريحه
واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا
علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على
يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما
علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه
الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب وعوقب يوسف
بالمحنة التي قص الله علينا وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب

انه دخل مع اهل قرينه على ملكهم فكلموه فى ظلمه واغلظوا له
الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه و
محنته سليمان عليه السلام لما كان ذكرناه من نيته فى كون الحق
فى جنبه اصهاره او للعمل بالمعصية فى داره ولا علم عنده وهذه
فائدة شدة المرض والوجع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن عبد الله رايت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه
يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا فقال
اجل انى اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ان ذلك ان لك
الاجر مرتين قال ذلك كذلك وفى حديث ابى سعيد ان رجلا
وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله ما
اطيق اضع يدى عليك من شدة حماك فقال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان
النبى ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبى ليبتلى بالفقر وان
كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخا وعن انس عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء

وان

وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضاء ومن
سخط فله السخط وقد قال المفسرون فى قوله تعالى من يعمل
سوء يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة
وروى هذا عن عايشة وابى ومجاهد وقال ابو هريرة
عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال
فى رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر
الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال فى رواية ابى سعيد
ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن
ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من
خطاياه وفى حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى
الا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة
اخرى اودعها الله فى الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى
نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم ويخف عليهم
مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف

الجسم والنفس بذلك بخلاف الفجاه واخذه كما يشاهد من اختلاف
احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه
السلام مثل المومن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي
رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفئها فاذا سكنت اعتدلت
وكذلك المومن يكفاء بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صما معتدلة
حتى يقصمه الله معناه ان المومن مرزو مصاب بالبلاء الامراض
راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه و
قلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمائلها
لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا اراح الله عن المومن رياح
البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون
رياح الجور رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمة رعايه برفع بلائه منتظرا
رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض
الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته
بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته

والكافر

والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة
الصما حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذ بغتة
من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما ولعذاب الاخرة اشد
كانجعاف الارزة كما قال الله تعالى فاخذناهم بغتة وهم
لا يشعرون وكذلك عادة الله الى اعدائه كما قال الله تعالى
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من
اخذته الصيحة الاية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة
وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ذكر عن السلف انهم كانوا
يكرهون موت الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون
اخذه كاخذة الاسف اي الغضب يريد الفجاءة وحكمة ثالثة ان
الامراض نذير للممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول
فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض
عن دار الدنيا الكثيرة الانكار ويكون قلبه معلقا بالمعاد
فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي

الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه
او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان
له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن
من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة
واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا
الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة
والله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا
سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه
غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث
لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
وكذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة سبحان الله كأنه
غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجأة راحة للمؤمن
واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت يأتي المؤمن

وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف
ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال
عليه السلام مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة
مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شئ عليه وفراق الدنيا
افظع امر صدمه واكره شئ له والى هذا المعنى اشار عليه
السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن
كره لقاء الله كره الله لقائه القسم الرابع في تصرف وجوه
الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة
واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام
وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة
على قتل منتقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين

يؤذون الله ورسوله وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان
عند الله عظيما وقال تعالى فى تحريم التعريض له يا ايها الذين
امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك
ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك
واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله
المسلمين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهى المؤمنين
عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به
وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى
اسمع لا سمعت وقيل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه لانها فى لغة
الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنها انهم
لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية
بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكنى بكنيته
وقال تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى صيانة لنفسه وحماية

عن اذاه

عن اذاه اذ كان صلى الله تعالى عليه وسلم استجاب لرجل نادى
يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن
التكنى بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد
ذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه
فاذا التفت قالوا انما اردنا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه
على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه
فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد
وفاته لارتفاع العلة وللناس فى هذا الحديث مذاهب ليس
هذا موضعها والذى ذكرنا هو مذهب الجمهور والصواب
ان ذلك ان شاء الله على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب
والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه فقد كان
الله منع من ندائه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه باسمه يا رسول الله
ويا نبى الله وقد يدعون بكنيته ابا القاسم بعضهم فى بعض
الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة

التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذ لم يوقر فقال تسمون اولادكم
محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد
باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري
وحكي عن محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه
ويقول فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن
زيد بن الخطاب الا لا ارى محمدا يسب بك والله لا تدعى
محمدا باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسما جماعة تسموا
باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه
السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم
ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروى ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه
السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن
ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في
بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم

على ما بين كما قدمناه الباب الاول في بيان ما في حقه
عليه السلام سبا ونقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله
واياك ان جميع من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او عابه
او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله
او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه
التصغير بشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم الساب
يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على
هذا القصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك
من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من
الكلام وهجر ومنكر من القول وزورا وعيره بشيء مما جرى من
البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة
والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى
من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر
بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث
بن سعد واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل
وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا يقبل توبته
عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل
الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله
الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة
واصحابه فيمن ينقصه صلى الله تعالى عليه وسلم او برئ منه
او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى
هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفر كما
سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد
الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد
علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف
ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه

بعذاب

بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه
كفر واحتج ابراهيم بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد
مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبكم
وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في
وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب
ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك
في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من
المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه
او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق
وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوطة عن عثمان بن كنانة
من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب
حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية
ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه
قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا

اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
او عيره النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ قتل
على كل حال استر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثل عن
اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال
بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء
بالويل او بشئ من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن
القابسي فيمن قال في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحمال
يتيم ابي الطالب بالقتل بلا استتابة وافتى ابو محمد بن ابي
زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال
لهم يريدون تعرفون صفة هي صفة في هذا المار في خلقته
ولحيته قال ولا يقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس



يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب
سحنون من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اسود
يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله
برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله
فقال اشد من كلامه الاول ثم قال وانما اردت برسول الله
العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي ساله مستفتيا عنه
اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال
حبيب بن الربيع لان ادعاء التأويل في لفظ صراح لا يقبل
لانه امتهان تحقير وهو غير معذور لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد
الله بن عتاب في عشار قال لرجل اذ واشك الى النبي عليه
السلام وقال ان سالت او جهلت فقد جهل النبي وسال
النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه
الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته النبي

باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر
على الطيبات اكلها الى اشباه هذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب
سحنون بقتل ابراهيم الفزارى وكان شاعرا متفننا فى كثير من
العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضى ابى العباس بن طالب
للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب فى الاستهزاء
بالله وانبيائه ونبينا محمد عليه السلام فاحضر له القاضى
يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن
بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض
المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدى استدارت
وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب
فولغ فى دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال
لا يلغ الكلب فى دم مسلم وقال القاضى ابو عبد الله بن
المرابط من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هزم
يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك

عليه فى

عليه فى خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال
حبيب بن ربيع القروى مذهب مالك رضى الله عنه واصحابه
ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة
وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا
وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا
وتنقيصا يجب قتل قائله لم يختلف فى ذلك متقدمهم
ولا متاخرهم وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه
بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او
السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض
جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى
نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى
من مذاهب العلماء فى ذلك ويأتى ما يدل عليه فصل فى
الحجة فى ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن
القرآن لعنه الله تعالى لموذيه فى الدنيا والاخرة وقرانه تعالى

اذاه باذاه ولا خلاف فى قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه
من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يوذون الله ورسوله
لعنهم الله فى الدنيا والاخرة الاية وقال الله فى قاتل المومن
مثل ذلك فمن لعنة فى الدنيا قال الله تعالى ملعونين اينما
ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال فى المحاربين وذكر عقوبتهم
وذلك لهم خزى فى الدنيا ويقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى
قتل الخراصون الذين وقاتلهم الله اى لعنهم الله ولانه لا فرق
بين اذاهما واذية المؤمنين وفى اذى المؤمنين مادون القتل
من الضرب والنكال فكان حكم موذى الله ونبيه اشد
من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يومنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد
فى صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد
ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبى الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل
الا الكفر والكافر يقتل وقال الله تعالى واذا جاوك حيوك

بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير
وقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبى ويقولون هو اذن قل اذن
خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين ورحمة للذين امنوا منكم
ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى
ولئن سئلتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل بالله واياته
ورسله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
قال اهل التفسير كفرتم بقولكم فى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا
الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابى
ذر الهروى اجازة قال ثنا ابو الحسن الدرقطنى وابو عمر بن
حيوية قالا ثنا محمد بن نوح قال ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن
بن زبالة قال ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن على بن
موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن على بن الحسين
بن على عن ابيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابى فاضربوه

وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتل كعب
بن الاشرف وقوله من لكعب الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله
ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذاء و
كذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل
ابن خطل وجاريته اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام
وفي حديث اخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من
يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار
ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد
بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوه الا من بادر باسلامه
قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة
بن ابي معيط نادى يا معشر قريش مالي اقتل من بينكم صبرا
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكفرك وافترائك على

رسول

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي
فقال الزبير انا فبارزه فقتل الزبير وروي ايضا ان امراه
كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها
خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى
ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتله فلم
يشق ذلك على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبلغ المهاجر بن
ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هنالك
في الردة غنت بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقطع يدها
ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال لولا ما فعلت ذلك لامرتك
بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس
هجت امراه من خطمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها

فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها
عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كان ذات
ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتشتمه
فقتلها واعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر
دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند
ابي بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي
اسماعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب
ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد
عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه
لسبه اباك فقال له اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن
ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث
على قتل من اغضب النبي صلى الله تعالى عليه بكل ما
اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز

الى

الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه
فكتب اليه عمر لا يحل قتل امرء مسلم بسب احد من الناس الا رجلا
سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل
الرشيد مالكا رضي الله عنه في رجل شتم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك
وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم
الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره و
غيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد
بما ذكر وقد ذكرنا من مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن
يشتهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون
ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب
او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على اصله والا
فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من

جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام
فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهى رواية الشاميين
عن مالك والاوزاعى وقول الثورى وابى حنيفة والكوفيين
والقول الاخر دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر
الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا
كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او كلمات الاستهزاء
او الذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك
وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى فى مثله
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم قال اهل التفسير هى قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد
الا كقول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان
مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه غير دينه وقال

عليه السلام

عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحرمة مزية على امته وساب
الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام
القتل لعظم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت
فلم لم يقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليهودى الذى
قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذى
قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذى موسى
باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه فى
اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل
قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه فى قلوبهم ويداريهم
ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين
ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم

بدارى الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضى عليهم ويحتمل
من اذاهم ويصبر على جفاهم مالا يجوز لنا اليوم الصبر عليه
وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال
ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى
بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وذلك لحاجة الناس
للتاليف اول الاسلام جمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره
الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن
حنظل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة
من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته
والانخراط فى جملة مظهرى الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف
وابى رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم
ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستورة وحكمه عليه
السلام على الظاهر واكثر الكلمات انما كان يقولها القائل منهم

خفية

خفية مع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان عليه السلام مع هذا
يطمع فى فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر صلى
الله تعالى عليه وسلم على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم
من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص
سرا كما اخلص جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم
للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار
وبهذا اجاب بعض ائمتنا عن هذا السؤال وقال لم يثبت
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اقوالهم شيء مارفعوا انما
نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة فى هذا الباب
من صبى وعبد وامرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا
يحمل امر اليهود فى السلام وانهم لووا السنتهم ولم يبينوه
الا ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك
لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم وخبثهم فى ذلك

لنا بالسنتهم وطعنا فى الدين فقال ان اليهود اذا اسلم احدهم
فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وقد قال بعض اصحابنا
بغداديين ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلهذا تركهم
وايضا فان الامر كان سترا وباطنا وظاهرهم الاسلام
والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس
قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب
وقد شاع عن المذكورين فى العرب كون من يتهم بالنفاق
من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين
بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لنفاقهم وما يبدو منهم وعلمه بما اسروا فى نفوسهم
لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند
وارتاع من صحبته النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
والدخول فى الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن
العدو الظالم ان القتل بالاستخفاف انما كان للعداوة

وطلب

وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا
الى مالك بن انس ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين
نهانى الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة
عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء
الناس فى علمها وقال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون
نفاقهم لقتلهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقاله القاضى
ابو الحسن بن القصار وقال قتاده فى تفسير قوله لئن
لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون
فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك الا قليلا ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين الاية
قال قتادة معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمه
فى المبسوط عن زيد بن اسلم ان معنى قوله تعالى يا ايها
النبى جاهد الكفار والمنافقين نسخ ما كان قبلها وقال
بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله

وقائل له اعدل لم يفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عنه الطعن عليه ولا التهمة له وانما رآها من وجه الغلطة
في الرأي في امور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك
الكلام سبا فلذلك لم يعاقبه ورأى انه من الاذى الذي له
العفو عنه والصبر عليه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا
السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه
من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد
انكم تسامون دينكم والسام والسامة الملال وهذا دعا
على سامة الدين ليس فيه صريح سب ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال بعض علمائنا وليس
هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال
القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه
صلى الله تعالى عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن
نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر

في

في الحديث هل كان هذا اليهودي من الذمة او الحرب ولا يترك
موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر
من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة
والخوارج باب من ترك قتل الخوارج للتالف ولئلا ينفر
الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد
صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو اعظم
من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من عينه
منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم
وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب
فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف
المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم
واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة انه

عليه السلام ما انتقم لنفسه فى شئ يؤتى اليه قط
الا ان تنهتك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضى
انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات
الله التى انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء
ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد
فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفا والجهل
او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابى بردائه حتى
اثر فى عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابى
شراه منه فرسه التى شهد بها خزيمة وكما كان من تظاهر
زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقال
بعض علمائنا ان اذى النبى عليه السلام حرام لا يجوز
بفعل مباح ولا غيره واما غيره فيجوز بفعل مباح ما يجوز
للانسان فعله وان تأذى غيره واحتج بعموم قوله تعالى
ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله عليه السلام
فى حديث فاطمة انها بضعة منى يؤذينى ما اذاها الا وانى

لا

لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وابنة عدو الله عند رجل ابدا او يكون
هذا مما اذاه به كافر رجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن
اليهودى الذى سحره وعن الاعرابى الذى اراد قتله وعن
اليهودية التى سمته وقيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من
اذى الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجا استيلا فهم
استيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل
قال القاضى ابو الفضل تقدم الكلام فى قتل القاصد لسبه
والازراء به وغمصه باى وجه كان من ممكن او محال
فهذا وجه بين ولا اشكال فيه الوجه الثانى لاحق به فى
البيان وهو ان يكون القائل لما قال فى جهته عليه الصلوة
والسلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه
تكلم فى جهته صلى الله تعالى عليه وسلم بكلمة الكفر من
لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه
او نفى ما لا يجب له مما هو فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم

بغضه مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة فى تبليغ
الرسالة او فى حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف
نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور
اخبر بها وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتى
بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب
فى جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد
سبه اما لجهالة حملته او لضجر او سكر اضطره اليه او
قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور فى كلامه فحكم
هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر
احد فى الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشئ
مما ذكره اذا كان عقله فى فطرته سليما الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم
فى نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى
قدمناه وقال محمد بن سحنون فى المأسور يسب النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم فى ايدى العدو يقتل الا ان يعلم تنصره

او

او اكراهه وعن ابى محمد بن ابى زيد لا يعذر احد بدعوى
زلل اللسان فى مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسى فيمن شتم
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سكره يقتل لانه يظن
به انه يعتقد هذا ويفعله فى صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه
السكر كالقتل والقذف وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه
لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما
ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه
الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على
هذا حديث حمزة وقوله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم هل
انتم الا عبيد لابى قال فعرف النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة
فلم يكن فى جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا
عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون. فصل
الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او فيما اتى به
او ينفى نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله

ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله
ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم
المرتد وقوى الخلاف فى استتابته وعلى القول الاخر يسقط
القتل عنه توبته لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان
ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا
بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا
كما سنبينه وقال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد
او كذبه فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن
القاسم فى المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبى او لم يرسل
او لم ينزل عليه قرآن وانما هو تقوله يقتل قال ومن كفر
برسول الله وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك
من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال
فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال
ابن قاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا وقال اصبغ هو
كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال

فى شهب يهودى تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس او قال
ان بعد نبيكم نبى يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب
والا قتل وذلك لانه مكذب للنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فى قوله لا نبى بعدى ومفتر على الله فى دعواه الرسالة
والنبوة وقال محمد بن سحنون من كذب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابى
سليمن صاحب سحنون من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اسود قتل ان لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسود
وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان
يلتحى او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفى
وقال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له
وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة
فصل الوجه الرابع ان يأتى من الكلام بمجمل ويلفظ من القول
مشكل يمكن حمله على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلى غيره او يتردد فى المراد به من سلامته من المكروه

او شره فههنا متردد النظم وحيرة العبر والمظنة اختلاف
المجتهدين ووقفة استبر المقلد ين ليهلك من هلك عن بيّنة
ويحيى من حى عن بيّنه فمنهم من غلب حرمة النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وحمى حِمىً عرضه فجسر على القتل ومنهم
من عظم حرمة الدم ودراء الحدّ بالشبهة لاحتمال القول
وقتل المؤمن من الموبقات وقد اختلفا مُتنا فى رجل اغضبه
غريمه فقال له صل على محمد النبى فقال له الطالب لا صلى الله
على من صلى عليه فقيل لسحنون بل هو كمن شتم النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم او شتم الملئكة الذين يصلون عليه
قال لا اذا كان على ما وصف من الغضب لانه لم يكن مضمراً
للشتم وقال ابو اسحق البرقى واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه
شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب
فى شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه لما احتمل
الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على شتم النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم او شتم الملئكة ولا مقدّمة يحمل

عليها

عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء
وكالاجل قول الاخر له صل على النبى فحمل قوله وسبه لمن يصلى
عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى
قول سحنون وهو موافق لعلة صاحبيه وذهب الحارث
بن مسكين القاضى وغيره فى مثل هذا الى القتل وتوقف
ابو الحسن القابسى فى قتل رجل قال كل صاحب فندق
قرنان ولو كان نبيّاً مرسلا فامر بشدّه بالقيود والتضيق
عليه حتى يستفهم البينه عن جملة الفاظه وما يدل على
مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس
فيهم نبى مرسل فيكون امره اخفّ قال ولكن ظاهر لفظه
العموم لكل صاحب فندق من المتقدّمين والمتاخرين وقد
كان فيمن تقدم من الانبياء والرّسل من اكتسب المال قال
ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه
التأويلات لا بدّ من انعام النظر فيه هذا معنى كلامه
وحكى عن محمد بن ابى زيد فيمن قال لعن الله العرب

ولعن الله بنى اسرائيل ولعن الله بنى ادم وذكر انه لم يرد
الانبياء انما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر
اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم
المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع
حاضر لباد ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل
وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك
ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله
وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه
فى المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجرى فى كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير وابن
مائة كلب وشبهه من هجر القول فلا شك انه يدخل
فى مثل هذين العددين من اباته واجداده جماعة من
الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم فينبغى
الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب
فيه ولو علم انه قصد سب من فى اباته من الانبياء على

علم

علم بقتل وقد يضيق القول فى نحو هذا لو قال لرجل هاشمى
لعن الله بنى هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل
من ذرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او من نسله او ولده
على علم منه انه من ذرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم يكن قرينة فى المسئلتين تقتضى تخصيص بعض ابائه
واخراج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ممن سبه منهم
وقد رايت لابى موسى عيسى بن مناس فيمن قال لرجل
لعنك الله الى ادم انه ان ثبت عليه ذلك قتل قال القاضى
ابو الفضل وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد
شهد عليه بشئ ثم قال له تتهمنى فقال له الاخر الانبياء
يتهمون فكيف انت فقال شيخنا ابو اسحق ابراهيم بن
جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضى ابو
محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده
ان يكون خبر عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضى
قرطبة ابو عبد الله ابن الحاج بنحو هذا وشدد القاضى ابو محمد

تصفيده واطال سجنه استحلفه بعد على تكذيب ما شهد
عليه اذ دخل فى شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم
اطلقه وشاهدت شيخنا ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام
قضائه اتى برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب
فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك
وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن
حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوى
الريبة باعتقاده ضربه بالسوط فصل الوجه الخامس
ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا ولكنه ينزع بذكر
بعض اوصافه واطلقه او يستشهد ببعض احواله عليه
السلام الجائزة عليه فى الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة
لنفسه او لغيره او على طريق التشبيه به او عند هضيمة نالته
او غضاضة لحقته ليس على سبيل التاسي وطريق التحقيق
بل على مقصد الترفيع لو لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير
لنبيه او على قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل

في السوء

فى السوء فقد قيل فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان كذبت
فقد كذب الذين الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم
من السنة الناس ولم تسلم منهم انبياء الله ورسله او قد
صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر
نبى الله على عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبى انا فى
امة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود ونحوه فى اشعار
المتعجرفين فى القول المتساهلين فى الكلام كقول المعرى كنت
موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على
ان اخر هذا البيت شديد عند تدبره وداخل فى باب الازرا
والتحقير وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع
الوحى بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله فى الفضل
الا انه لم يأته برسالة جبريل فصدر البيت الثانى من هذا الفضل
لتشبيه غير النبى فى فضله بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
والعجز يحتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والاخر استغناؤه عنها فهذه اشد ونحو منه قول

الاخر واذا ما رفعت راياته خفقت بين جناحي جبرين وقول
الاخر من اهل العصر فرّ من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب
رضوان وكقول حسان المصيصي من شعر الاندلس في محمد بن
عباد المعروف بالمعتمد على الله وفي وزيره ابي بكر بن زيدون
كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت محمد الى امثال
هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لنعريف
امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك
واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه
من الوزر وكلامهم فيه فيما ليس لهم به علم ويحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه
تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي وابن سليمن المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص
وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الكلام في هذا الفصل
الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا
ولا اضافت الى الملئكة والانبياء نقصا ولست اعني بيتي المعري

ولا

ولا قصد قائلها ازراء ولا غضا فما وقر النبوة ولا عظم
الرسالة ولا عزز حرمة الاصطفاء ولا عزز خطوة
الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد
الانتفاء منها او يضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في
وصفه لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره
والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت
عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة
تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومالوف
عادته لمثله او ندوره او قرينة كلامه او ندمه على ما سبق
منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد
انكر الرشيد على ابي نواس في قوله فان يك باقي سحر فرعون
فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخنا
انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه من عسكره من
ليلته قال القتيبي ان مما اخذ عليه وكفر فيه او قارب قوله
في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

تنازع الاحمدان الشبه فاشبها خلقا وخلقا كما قد السركان
وقد انكروا عليه ايضا قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول
الله من نفره لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته
ان يضاف هو لغيره فالحكم في هذا ما بسطناه في طريق الفتيا
وعلى النهج جائت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه
ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا
بالفقر وقد رعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الغنم فقال
مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غير
موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب
اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال عمر بن
عبد العزيز لرجل انظر لي كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له
وقد كان ابو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كافرا فقال له
جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون
ان يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب
الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما

امرنا

امرنا الله تعالى وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح
الوجه كانه وجه نكير وعبوس كانه وجه مالك الغضبان
فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان
فما الذي اراد اروع دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف
النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى
مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح
بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك
خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس
الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه
القائل على طريق الذم لهذا في فعله او لزومه في ظلمه صفة
مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب
غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل
هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك
كان اشد ويعاقب عليه المعاقبة الشديدة وليس في هذا

ذم للملك ولو قصد لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب
معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك
امي فقال الشاب اليس كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب
مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر
عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة من
جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لكنه اذا استغفر فتاب واعترف ولجا الى الله يترك لان
قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله
بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة
استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا
محمد بن منصور في رجل تنقصه اخر بشئ فقال له انما
تريد نقصي بذلك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص

حتى

حتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه
وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس
افتى بقتله فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك
حاكيا واثرا عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة
مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب
والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة
والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه
والتجريح له فهذا ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه
في كتاب او في مجلس على جهة الرد له والنقض على قائله
والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب
حال الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك
ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث
او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب
على سامعه الاشارة بما سمع منه والتنفير للناس والشهادة
بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره

وبيان كفره وفساد قوله القطع ضرره عن المسلمين وقياما
بحق سيد المرسلين ان كان ممن بعظ العامة او يؤدب الصبيان
فان من هذه الخصلة سريرته لا يؤمن على القاء مثل ذلك
في قلوبهم فيتأكد من هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام
بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجب وحماية عرضه
متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن
لكن اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به
الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة
عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان
حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن
ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله ايسعه
ان لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته
فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به
ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة

الحكاية

الحكاية فوله لغير هذين القصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب
فليس التفكه بعرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتمضمض
بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعي بمباح واما
للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب
وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في
كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير عن كفرهم والوعيد
عليه والرد عليهم بما تلاه سبحانه علينا في محكم كتابه وكذلك
وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف
من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين
في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبها عليهم
وان كان ورد لاحمد بن حنبل ايضا انكار لبعض هذا
على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على
الجهمية والقائلين بالخلق وهذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه

والازراء بمنصبه العلى على وجه الحكايات والاسمار والطرف
واحاديث الناس ومقالاتهم فى الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفا والخوض فى قيل وقليل وما لا يعنى
فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة من بعض
فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد او معرفة بمقدار ما
حكاه او لم يكن عادته الكلام الذى حكاه من البشاعة حيث
هو ولم يظهر على كيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك
ونهى عن العود اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له
وان كان تحفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد
وقد حكى ان رجلا سال مالكا عمن يقول القرآن مخلوق
فقال الامام مالك قائله كافر فاقتلوه فقال انما حكيته
عن غيرى فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك
على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم
هذا الحاكى فيما حكاه بانه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت
تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله

والاستخفاف

والاستخفاف له او التحفظ لمثله او طلبه ورواية اشعار
هجوه صلى الله تعالى عليه وسلم وسبه فحكم هذا حكم الساب
نفسه يواخذ بقوله ولا ينفعه لنسبته الى غيره فيبادر
بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن
سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجى به النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف فى الاجماع
المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون
محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد
اسقطوا من احاديث المغازى والسير ما كان هذا سبيله
وتركوا رواية الا اشيا ذكروها يسيرة وغير مستبشعة
على نحو هذه الوجوه الاول ليروا نقمة الله تعالى من قائلها
واخذه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن
سلام قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهادية من اهاجى
اشعار العرب فى كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه

استر الدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد برواينه
اونشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر فصل الوجه
السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
او يختلف في جوازه عليه وما يطرء من الامور البشرية
به ويمكن اضافته اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات
الله على شدته من مقاسات اعدائه واذاهم له ومعرفة
ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمانه ومر عليه
من معانات معيشته كل ذلك على طريق فن الرواية ومذاكرة
العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم
فهذا خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص
ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ
ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع
اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق
فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفهمه او يخشى به فتنة
فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت

عليه

عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن
وادراكهن فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم مخبرا عن
نفسه باستجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من
نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه
السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره
على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل
كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة
وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة
اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل
ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على
طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكرها على
وجه تعريف حاله او الخبر عن مبتدائه والتعجب من منح
الله تعالى قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة
بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى
بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم

شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم
واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له
وتأييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملئكة المسومين ولو كان صلى الله تعالى عليه وسلم ابن مالك
او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك سبب
ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سئل ابا سفيان
عنه هل في ابائه من ملك ماض فقال لا ثم قال ولو كان في ابائه
ملك قلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم من صفته صلى الله
تعالى عليه وسلم في الكتب المتقدمة واخبارهم الامم السالفة
وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن
لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذا اذا وصف بانه امي
كما وصفه الله تعالى به فهو مدحة له وفضيلة ثانية وقاعدة
معجزته اذ معجزته العظمى من القرأن العظيم انما هي متعلقة بطريق
المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل
به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك

من

من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
منتهى العبر ومعجزة البشر فليس فيه بذلك نقيصة اذ المطلوب
من الكتابة والقرأة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة
اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب
استغنى عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة
لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين
امره غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه
هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام
حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه
منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر
ما روى من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس
والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة
بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين خطيرها وحقيرها
سرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله
ومأثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها

مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه
بذلك سوء قصده لحق بالفصول التى قدمناها وكذلك
ما ورد من اخباره سائر الانبياء عليهم السلام فى الاحاديث
مما فى ظاهره اشكال بقتضى امورا لا يليق بهم بحال ويحتاج
الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يحدث منها الا بالصحيح
ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره
التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة
المعنى وقال ما يدعوا الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن
عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس
وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوها على طيها فاكثرها
ليس تحتها عمل وقد حكى عن جماعة من السلف بل عنهم على
الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اوردها على قوم يفهمون كلام
العرب على وجهه وتصرفاتهم فى حقيقته ومجازه
واستعارته وبليغه وايجازه فلم يكن فى حقهم مشكلة

ثم

ثم جاء بعدهم من غلبة عليه العجمة ودخلته الامية فلا يكاد
يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق
اشارتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها
فتفرقوا فى تأويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم
من امن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث
فواجب ان لا يذكر منها شئ فى حق الله تعالى ولا فى حق انبيائه
ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب
طرحها وترك الشغل بها الا ان يذكر على وجه التعريف
بانها ضعيفة المفاد واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ
على ابى بكر بن فورك تكلفه فى مشكله الكلام على احاديث
ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقوله عن اهل الكتاب
الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذا المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها
وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس فصل ومما يجب

على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وما لا يجوز عليه والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل
قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند
ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر تلك الاحوال الواجب
من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر
عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من
الشدائد اظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه
ومودة الفدا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو قدر عليه
والنصرة له لو امكنه واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم
على مجاري اعماله واقواله تحرى احسن اللفظ وادب العبارة
ما امكنه واجتنب بشنيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح
كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاحوال
قال هل يجوز عليه الخلف في الاخبار بخلاف ما وقع سهوا
او غلطا ونحوه من العبارات ويتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز عليه ان لا يعلم

الا

الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم ببعض الاشياء
حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا
تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر
والنواهي ومواقعة الصغائر فهو اولى وادب من قوله
هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا فهذا من توقيره
وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء لم
يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه
ورايت بعض الجائرين قوله لاجل ترك التحفظ في العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما ياباه ويكفر قائله واذا كان مثل
هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم
وخطابهم فاستعماله في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم
اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه
وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال صلى
الله تعالى عليه وسلم ان من البيان لسحرا فاما ما اورده
على جهة النفي عنه والتنزيه له فلا حرج في تسريح العبارة

ونصر بحجها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان
الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب
ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مثل هذا الكلام
وقد كان السلف يظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره
كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك
التعظيم عند تلاوة اي القرآن حكى الله فيها مقال عداه
ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به
سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم الباب الثاني في حكم سابه
وشانيه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته
ووراثته قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ما هو سب
واذى في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرنا اجماع العلماء
على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه
على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان المشهور
من مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء

قتله

قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل توبته
عندهم ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه
حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته
على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا
من قبل نفسه لانه حد وجب عليه لا تسقطه التوبة
كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسي اذا اقر
بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب اذ هو حده
وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين الله
تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم
تزل التوبة عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق
اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن القصار في ذلك
قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان
يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور
عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني

استدل على صحتها بمجيئه فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف
من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا
قول صيغ ومسئلة ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق
متعلق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته بسببه
لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق
اذا تاب بعد القدره عليه فعند مالك والليث واسحق
واحمد لا يقبل توبته وعند الشافعي يقبل واختلف فيه
عند ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن
ابي طالب يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل
عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من
دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه
لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل ظاهر الى ظاهر وقال القاضي
ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق
بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته

ان

ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقه
المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع
المعايب قطعا وليس من جنس يلحقه المعرة بجنسه وليس
سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان
الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين
فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
تعلق فيه حق الادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده
او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من
زنا وسرقة او غيرهما ولم يقتل ساب النبي لكفره لكن لمعنى
يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه
التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى يريد والله اعلم
لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه
اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب

وقال ابو عمر القابسي من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من
حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هؤلاء مبني على القول بقتله حداً لا كفراً وهو يحتاج الى
تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه
على ذلك ممن ذكرنا وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه
ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم
مالك له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول
اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول
من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما يقول ذلك
مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه او اظهاره الاقلاع
والتوبة فقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه
واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه
وانكر او تاب فان قيل كيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه

بكلمة

بكلمة الكفر ولا يحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع
عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به
عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه
مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام
الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه
كقتل تارك الصلوة واما من علم سبه انه معتقدا استحلاله
فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه كفرا كتكذيبه
او تكفيره ونحوه فهذا لا اشكال فيه ويقتل وان تاب
منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله و
متقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه
العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به
عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة
الله وحرمة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل كافرا
بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء واجمل

تختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجراء اختلافهم
في الموازنة وغيرها على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء
الله تعالى فصل اذا قلنا اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح
فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق
بينهما وقد اختلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب
جمهور العلماء الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه
اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره
واحد منهم وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود وبه قال
عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه
والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق واصحاب
الرأي وذهب طاوس ومحمد بن حسن وعبيد بن عمير
والحسن في احدى الروايتين عنه الى انه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره
سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن

لا تدرا

لا تدل لا تدرا عن القتل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاقتلوه وحكى ايضا عن عطاء انه ان كان ممن ولد في الاسلام
لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان
المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروى عن على لا يقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروى عن ابن عباس
لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة وروى عن
مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما
مدتها فمذهب الجمهور وروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة
ايام ويحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي
الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال
لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس
قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا
وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس
ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل
وقال ابو الحسن بن القصار وفي تأخيره ثلاثا روايتان

عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة
والاستيناء ثلاثا اهل الرأى وروى عن ابى بكر انه استتاب
امرأة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعى مرة فقال ان لم يتب قتل
مكانه واستحسنه المزنى وقال الزهرى يدعى الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى قتل وروى عن على انه يستتاب شهرين
وقال النخعى يستتاب ابدا وبه اخذ الثورى ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابى حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات
فى ثلثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفى كتاب محمد
عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى
ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام
الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت فى الاستتابة تجويعا
ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف
ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفى كتاب
ابى الحسن الطابثى يوعظ فى تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف
بالنار وقال اصبغ واى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس

او

او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف مع ذلك ماله
خيفة ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك
يستتاب كلما ارتد ورجع ابدا وقد استتاب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم نبهان الذى ارتد اربع مرات او خمسا وقال
ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعى
واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل فى الرابعة وقال
اصحاب الرأى ان لم يتب فى الرابعة دون قتل دون استتابة
وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى
يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب
على المرتد فى المرة الاولى ادبا ان ارجع وهو مذهب مالك
والشافعى والكوفى فصل قال القاضى ابو الفضل هذا حكم
من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول
لم يدفع فيهم فاما من لم يتم الشهادة عليه بما شهد عليه
الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن
صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرا

عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله
وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة فى الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوى امره
اذاقه من شديد النكال من التضييق فى السجن والشد فى القيود
الى الغاية التى هى منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا
يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف
عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره
وحالات الشدة عليه فى نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله
وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعى انها ردة فاذا تاب
نكل ولمالك فى العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب
المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن
عتاب فيمن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه
شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى يظهر توبته وقال القابسى فى مثل هذا ومن كان
اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل لم ينبغ ان يطلق من السجن

و

ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم
ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال فى مثل ممن اشكل امره
يشد فى القيود ويضيق عليه فى السجن حتى ينظر فيما يجب
عليه وقال فى مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء
الا بالامر الواضح وفى الادب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه
سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما اسقطهما
عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم
عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك
ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة
فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن
بصدقهما وللحاكم هنا فى تنكيله موضع اجتهاد والله ولى
الارشاد فصل قال القاضى ابو الفضل هذا حكم المسلم
فاما الذمى اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره
او وصفه بغير الوجه الذى كفر به فلا خلاف عندنا

فى قتله ان لم يسلم لانا لم نعطهم الذمة والعهد على هذا وهو
قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثورى واتباعهما من اهل
الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن
يعزر ويؤدب واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله
تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم
فقاتلوا ائمة الكفر ويستدل ايضا عليه بقتل النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم
فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا
ذمتهم وصاروا اهل حرب يقتلون بكفرهم وايضا فان
ذمتهم لا يسقط حدود الاسلام عنهم من القطع فى سرقة
اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم
فكذلك سبهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقتلون به
ووردت لاصحابنا ظواهر بمقتضى الخلاف اذا ذكره الذى
بالوجه الذى كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن

سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه
المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه
قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه
ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر فى بغضه له وتنقصه بقلبه
لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر
ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام
سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان فى ظننا باطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم يقبل بعد رجوعه
ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه
من الاحكام باقية لا يسقطها شئ وقيل لا يسقط
اسلام الذى الساب قتله لانه حق للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق
النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام الذى
يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين قبل اسلامه

من قتل و قذف واذا كنا لا تقبل توبة المسلم فان لا نقبل
توبة الكافر اولى قال مالك بن حبيب والمبسوط وابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبياً
من اهل الذمة او احدا من الانبياء قتل الا ان يسلم قاله
ابن القاسم فى العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال
سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا تسلم ولكن ان اسلم
فذلك له توبة وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال
من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره
من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا
عن مالك الا ان يسلم الكافر وروى ابن وهب عن ابن عمر
ان راهبا تناول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن
فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم فى ذمى قال ان
محمد لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى
وعيسى ونحو هذا لا شئ عليه قران وانما هو شئ تقوله
او نحو هذا فيقتل او قال ابن القاسم واذا قال النصرانى

د

ديننا خير من دينكم وانما دينكم دين الحمير او نحو هذا
من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمداً رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله ففى هذا الادب بالموجع والسجن
الطويل قاله ابن القاسم واما ان شتم النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم شتما يعرفه فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك
غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمد قوله عندى
ان اسلم طايعاً وقال ابن سحنون فى سؤالات سليمن
سالم فى اليهودى يقول للمؤذن ان اشهد كذبت يعاقب
العقوبة الموجعة والسجن الطويل وفى النوادر من رواية
سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذى كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم
قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته فى سب النبى
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد
على ذلك ولا على قتلنا وا على اخذ اموالنا فاذا قتل
واحد منا قتلناه او اخذ منا مالا اخذناه منه وان

كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا قال
سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه
لم يجز لنا ذلك فى قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب
منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه كذلك
لا يحصنه الذمة قال القاضى ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف
عقوبتهم فيه بما به كفروا فتأمل ويدل على انه خلاف
ما روى عن المدنيين فى ذلك فحكى ابو المصعب الزهرى
قال اتيت بنصرانى قال والذى اصطفى عيسى على محمد
فاختلف على فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة
وامرت بجر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل
ابو المصعب عن نصرانى قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل
ابن القاسم سألنا مالكا عن نصرانى بمصر شهد عليه
انه قال مسكين محمد يخبركم انه فى الجنة فماله لم ينفع نفسه
اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح الناس

منه

منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه وترمى جيفته حتى
تاكله الكلاب قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت
انه لا يسعنى الصمت قال ابن كنانة فى المبسوط من شتم النبى
من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء
قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقهم بالنار ذكر
مسألة ابن القاسم المتقدمة قال فامرنى مالك فكتبت
اليه بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت ثم قلت له يا ابا
عبد الله واكتب ثم يحرق فقال مالك انه لحقيق بذلك
وما اولاه به فكتبته بيدى بين يديه فما انكره ولا عابه
نفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله
بن يحيى وابن لبابة فى جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين
بقتل نصرانية استهلت بنفى الربوبية ونبوة عيسى لله
تعالى وتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى النبوه
وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به وبه قال غير واحد
من المتاخرين منهم القابسى وابن الكاتب وقال ابن الجلاب

في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا
يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين
في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف
وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه
وانما يسقطه عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف
فحد للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب الله على الذمي
اذا قذف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اسلم حد
القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف
في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القتل لزيادة
حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره ام هل
يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامل فصل في
ميراث من قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء في ميراث من
قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذهب سحنون
الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي كفر يشبه كفر

الزندقة

الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان
مستترا بذلك وان كان مظهرا له ومستهلا به فميراثه للمسلمين
ويقتل على كل حال ولا يستتاب وقال ابو الحسن القابسي
ان قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر
اقراره يعني ان ميراثه لورثته المسلمين والقتل حد ثبت
عليه ليس من الميراث في شئ وكذلك لو اقر
بالسب واظهر التوبة يقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه و
سائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى
عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه
للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر
عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن
في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد
غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب
سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم
في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب

فيمن اعلن كفره وقال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد
لا توثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد
اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ قتل على
ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف
في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا يقتل منه فاما
المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب
الله تعالى ثم مات ولم تُعْذَل عنه بنية او لم تقبل انه يصلى
عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب
فيمن كذب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعلن
دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال
بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته
ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه
عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن
مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد
العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة

ورثة

يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده
وما يكسبه في الارتداد للمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي
جوابه حسن بين وهو على رأي اصبغ وخلاف قول سحنون
واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثة
ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بنية فانكرها واعترف
بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن سلمة وغير واحد
من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره وتوبته وحكمه حكم
المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد
ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به
ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك
ومحمد وسحنون وذهب ابن قاسم في العتبية الى انه ان
اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان
لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر
كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم

بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه
للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل
ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى
قوله واختصاره الباب الثالث في حكم من سب الله
تعالى وملئكته وانبيائه وكتبه وال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وازواجه وصحبه لاخلاف ان ساب الله
تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته
فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد
ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من
سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون
افتراء على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب
وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد
الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم
لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي

و

والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد
من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي
بن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكى عنه
في رجل لعن رجلا ولعن الله وقال انما اردت العن
الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل
عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء
قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه
وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه
بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت
في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا
كله فافتى ابراهيم بن حسين ابن خالد بقتله وان مضمن
قوله تجوير الله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح
وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسن
بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل
عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة

فى الادب لاحتمال كلامه الكفر وصرفه الحا لتشكى فوجه
من قال فى ساب الله بالاستتابة كفر وردة محضة لم
يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب
الله واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة
للاسلام ووجه من قال بترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك
بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا انه لم ينطق به الا
وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا احد فحكم له بحكم الزنديق
ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى دين اخر واظهر السب
بمعنى الارتداد فهذا قد علم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه
بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب
على مشهور مذاهب اكثر اهل العلم وهو مذهب مالك واصحابه
على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف فى فصوله فصل واما من
اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب
ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد
والخطاء المفضى الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت

بجارحة او نفى صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف
فى تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه
فى ذلك ولم يختلفوا فى قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون
وان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا فى المنفرد منهم فاكثر
قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتالهم
والمبالغة فى عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم
وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز
فى الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون فى
جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك فى الموطا وما رواه
عن عمر بن عبد العزيز عن جده وعمه من قولهم فى القدرية
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم
فى اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن
خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله
يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا
وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم فى كتاب

محمد فى اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم
اتركوا ما انتم عليه ومثله فى المبسوط فى الاباضية والقدرية
وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السوء
وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز وقال ابن القاسم من قال
ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا
قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم
من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روى ايضا عن
سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الرواية
عن مالك فاطلق فى رواية الشاميين ابى مسهر ومروان
بن محمد الطاطرى الكفر عليهم وقد شوور فى تزويج القدرى
فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مومن خير من مشرك
وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من
وصف شيئا من ذات الله واشار الى شئ من جسده
يدا او سمعا او بصرا قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه
وقال فيمن قال القرآن مخلوق هو كافر فاقتلوه وقال

ايضا

ايضا فى رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب
وفى رواية بشر بن بكر التنيسى عنه يقتل ولا يقبل توبته
وقال القاضى ابو عبد الله البرنكانى والقاضى ابو عبد الله
التسترى من ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر
الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله فى اعادة الصلوة
خلفه وحكى ابن المنذر عن الشافعى لا يستتاب القدرى
واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة
وابن لهيعة روى عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله
ابن المبارك والاوزاعى ووكيع وحفص بن غياث وابو
اسحق الفزارى وهشيم وعلى بن عاصم فى آخرين وهو من
قول اكثر المحدثين والفقهاء المتكلمين فيهم وفى الخوارج
والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين
وهو قول احمد بن حنبل وكذلك فى الواقفة والشاكة فى هذه
الاصول وممن روى عنهم معنى القول الاخر بترك تكفيرهم
على بن عمر والحسن البصرى وهو راى جماعة من الفقهاء

والنظار المتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة
اهل حروراء من عرف بالقدر من مات منهم ودفنهم في مقابر
المسلمين وجري احكام المسلمين عليهم قال اسماعيل القاضي
وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في
المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل فساده وفساد
المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل
ايضا في امر الدين من سبيل الحج والفساد وفساد اهل البدع
معظمه على الدين وقد يدخل في امور الدنيا بما يلقون بين
المسلمين من العداوة والله الموفق للصواب فصل في تحقيق
القول في اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار
اصحاب البدع والاهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه
قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون
في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من
السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين

وهو

وهو قول اكثر الفقهاء وقالوا هم فساق وعصاة ضلال
ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال
سحنون ولا اعاده على من صلى خلفهم في وقت ولا في اكثر
قال وهو قول جميع اصحاب مالك كلهم منهم المغيرة وابن
كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام
واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
وضده واختلف قول مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة
الصلوة خلفهم منه والى نحو هذا ذهب القاضي ابو بكر امام
اهل التحقيق والحق وقال انها من المسائل المعوصات اذ القوم
لم يصرحوا بالكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله
في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى
قال في بعض كلامه انهم على راى من كفرهم بالتاويل
لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم
ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد و
قال انما نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم

من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك
اضطرب قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله
ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود
الباري وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم او المسيح
او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل
هذا ذهب ابو المعالي في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان
سئله عن المسئلة فاعتذر بان الغلط فيها يصعب
لان ادخال الكافر في الملة او اخراج مسلم منها عظيم في
الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من
التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين
الموحدين خطر والخطاء في ترك الف كافر اهون من الخطاء
في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله
تعالى عليه وسلم فاذا قالوها يعني كلمة الشهادة عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح

خلافها

خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل
فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم
لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق
اللعنة عليهم وكذلك الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء
فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر بانه
قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على
طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك
وقد ورد مثله في الربا وعقوق الوالدين والزوج وغير
معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما
الا بدليل قاطع وقوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج
هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل
تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال صلى
الله تعالى عليه وسلم اذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد
فظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج من يرى

تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك من قتلهم بخروجهم
على المسلمين وبغيهم عليهم بدليل من الحديث نفسه
يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد
تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله
يحكم بكفره ويعارضه الآخر بقول خالد في الحديث دعني
اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا
بقوله يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان
لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون
اليه حتى يعود السهم الى فوقه وبقوله سبق الفرث
الدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الآخرون
ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم
ولا ينشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم
بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله
وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث

سمعت

سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه يقول يخرج في
هذه الامة ولم يقل من هذه وتحرير ابي سعيد الرواية
واتقانه للفظ اجابهم الآخرون بان العبارة بفي لا
تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة
من التي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي
عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج
من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة
فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم
فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه
الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم
لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة
اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل
به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول

كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويزا له فی فعله وتكذيبا
لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله
فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل
وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم
يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل
فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبرى
الى تصويب اقوال المجتهدين فی اصول الدين فيما كان عرضة
للتأويل وفارق فی ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه
على ان الحق فی اصول الدين فی واحد والمخطئ اثم عاص فاسق
وانما الخلاف فی تكفيره وقد حكى القاضی ابو بكر الباقلانی
مثل قول عبيد الله عن داود الاصفهانی قال وقد حكى
قوم عنهما انهما قالا ذلك فی كل من علم الله من حاله
استفراغ الوسع فی طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم
وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة فی ان كثيرا من
العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود

وغيرهم

وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن طباع يمكن معها
الاستدلال وقد نحى الغزالی قريبا من هذا المنحى فی كتاب
التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على من كفر من لم يكفر
احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين
او وقف فی تكفيرهم او شك قال القاضی ابو بكر لان التوقيف
والاجماع اتفقا على كفرهم على ذلك فقد كذب النص و
التوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع
الا من كافر فصل فی بيان ما هو من المقالات كفر وما
يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا
الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل
فيه والفصل البين فی هذا ان كل مقالة صرحت بنفی
الربوبية والوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله
فهی كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من
الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين و
النصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان

والملئكة والشياطين او الشمس او النجوم او النار او احدا
غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب
الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض
وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته لكنه
اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى
له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شئ او كائن
عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان صانعا
للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين
كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين وكذلك
من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله
في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال
بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب
بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح

وانتقالها

وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها
فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة
نبينا او واحدا من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه
بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية
من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان
المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية
والعنبرية من الروافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا
في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية
وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز
على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة
بزعمها او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب
الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر
ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور

الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شئ على
مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق
على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم
فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي
وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف
الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه
او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبيا
او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع
وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل
جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب
والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم
المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه
مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك
نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة



نبينا عليه السلام ولكن قال كان اسود او مات قبل
ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي
لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به و
وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده
كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى
العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الروافضة
القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هولاء يقوم مقامه
في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين
بنبوة بزيغ وبيان واشباه هولاء او من ادعى النبوة لنفسه
او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان
لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل
من ثمارها ويعانق الحور العين فهولاء كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اخبر عليه السلام

انه خاتم النبيين ولا نبى بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين
وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تخصيص ولا
تاويل فلا شك فى كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا
اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من
دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا
به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم
ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل
او وقف فيهم او شك او صحح مذاهبهم وان اظهر مع ذلك
الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه
فهو كافر باظهار ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك
نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل
الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الروافض
بتكفير جميع الامة بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه

فى

فى التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة
باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة
على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك فى احد
قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر
بسبهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مقتضى قولهم
وزعمهم انه عهد الى على وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم
لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك يكفر
بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان
صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود
للصنم او للشمس او للقمر او للصليب او للنار والسعى
الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزين بزيهم من شد
الزنانير وفحص الروس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد
الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح
فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير
كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله

بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض
غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر
قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر
من فعل الرسول وما وقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر
وجوب الخمس الصلوة وعدد ركوعاتها وسجداتها
ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة
وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه
اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول
خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان
الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان
الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم
اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة
ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت
بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهدة الشرائع
عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام

او

او صفة الحج او قال الحج واجب في القرآن واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة
وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري
هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا او وهموا فهذا
ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك
وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون
حديث عهد باسلام فيقال له سبيلك ان تسأل عن
هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا
كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم
ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة
والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها
رسول الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها
وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي
التي فعلها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون

وان صفات الصلوات المذكورة هي التي فعلها النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها
فيقع لك العلم كما وقع لهم وترتاب بذلك بعد والمرتاب
في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق
لا يعذر بقوله لا ادري ولا اصدق فيه بل ظاهره التستر
عن التكذيب اذ لا يمكن له ان لا يدري وايضا فانه اذ تجوز
على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا
انه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة
في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى
الدين ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران او حرفا
منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعلية
او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم او ليس
فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضيمري
انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب
ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك

تكفيرهما

تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض
دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح
القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران بعد
علمه انه من القران في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره
اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم
على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقران ومكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه
تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث
والحساب والقيمة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع
الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك
ولكنه قال المراد بالجنة والنار والحشر والنشر وبالثواب
والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعاني

باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض
المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت او فناء محض وانتقاض
هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك
نقطع بتكفير غلاة الرافضة فى قولهم ان الائمة افضل
من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير
والبلاد التى لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضى الى انكار
قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او موتة او وجود ابى
بكر وعمر او قتل عثمان او خلافة على مما علم بالنقل ضرورة
وليس فى انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد
ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس فى ذلك اكثر من المباهتة
كانكار هشام وعبّاد وقعة الجمل ومحاربة على من خالفه
فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين وهم المسلمين
اجمع فنكفره بذلك لسرايته الى ابطال الشريعة فاما
من انكر الاجماع المجرد الذى ليس طريقه النقل المتواتر
عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار فى هذا

الباب

الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط
الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله عليه السلام
من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه
وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون
الى الوقف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذى يختص
بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف فى تكفير من خالف
الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه
بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق
للاجماع قال القاضى ابو بكر القول عندى ان الكفر بالله هو
الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه
لا يكفر احد بقول ولا رأى الا ان يكون هو الجهل بالله
فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون
انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر
ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله

لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى
والثانى ان يأتى فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله
او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود
للصنم والمشى الى الكنايس بالتزام الزنار مع اصحابها فى
اعيادهم او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن معه العلم
بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما
عَلَمٌ على ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى
صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا
فى ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا متكلم وشبه
ذلك من صفات الكمال الواجبة له فقد نص ائمتنا على
الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها
وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى فهو كافر
وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه
الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكى
ذلك عن ابى جعفر الطبرى وغيره وقال به ابو الحسن الاشعرى

مرة

مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان
واليه رجع الاشعرى قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا
يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد
ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير
وحديث القائل لقد قدر الله على وفى رواية لعلى اضل
الله ثم قال فغفر الله عز وجل له قالوا ولو بوحث اكثر
الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها
الا القليل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها
ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه فى القدرة على احيائه
بل فى نفس البعث الذى لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن
ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه
حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول
او يكون قدر بمعنى ضيّق ويكون ما فعله بنفسه ازراء
عليها وغضبا لعصيانها وقيل انما قال ما قاله وهو غير

عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع
والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا
في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من
مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق
وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله
تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة
فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له
وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل
لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا
نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم
فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند سائر
فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن
ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم بموجب مذهبهم
لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول

ليس

ليس بعالم ونحن ننفي من القول بالمآل الذي الزموه لنا
ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه
على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار
اهل التاويل واذ فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف
الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم
عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم
ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم
في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم
بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن
بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان
نشا في زمن الصحابة وبعدهم من التابعين من قال
بهذه الاقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما
ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم
وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم
لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين

واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم خلافا لمن راى غير ذلك والله
الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد
والروية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد
وشبهها من الدقايق فالمنع في اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس
في الجهل بشي منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار
من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة
الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادة بحول الله تعالى فصل هذا
حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروى عن عبد الله
بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من
دينه وجاج فيه فخرج عليه ابن عمر بالسيف فهرب فطلبه
وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم
في المبسوط وكتاب محمد بن سحنون من شتم الله من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب
قال ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا قال
اصبغ لان الوجه الذي به كفروا دينهم وعليه عوهدوا

من دعوى الصاحبة والشريك والولد وما غير هذا من
الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن
القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى
بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى
يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال
مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي
زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم
وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن
لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها
لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي واجماعهم على
ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان
لا يظهروا شيئا من كفرهم ولا يسمعونا شيئا فمتى فعلوا

شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الزمي اذا تزندق
فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج
من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين
لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما
اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافه
ما لا يليق بجلاله والاهية او الرسالة او النافي ان يكون
الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل
من ذلك في سكرة او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل
ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل
توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فئة
لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب
ليكون ذلك زجر المثله عن قوله وله عن العودة لكفرة
وجهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى
به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق
الذي لا نؤمن باطنه ولا يقبل رجوعه وحكم السكران

في

في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله
من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا ينظر فيه
وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله و
سقط تكليفه ادب على ذلك وزجر عنه كما يؤدب على
قبايح الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما
يؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق
علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه من ادعى الالهية له
وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه
وفعل ذلك غير واحد من الخلفا والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك
من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من
المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج
وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا
الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبتهم
وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقر وكان على مذهب الحلاج

بعد هذا ايام الراضي بالله وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابوا
الحسين ابن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من
تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه
او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب
ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك
او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب
في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك
استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن
لعن باريه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان
يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر من انه
لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا
الله انا الله ان تاب ادب وان عاد الى مثله قوله طولب
مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من
تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه
واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة

مولاه

مولاه او تمثل بعض الاشياء ببعض ما اعظم الله من ملكوته
او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير
قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر
هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه
بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية
فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف
والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من
فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي وكان خرج يوما
فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء
ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن
عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث
من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى
بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم رب
عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذن لعبيد سوء وما نحن له بعابدين
وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي

وكان عجب عمه هذا المطلوب من خطاياه واعلم باختلاف
الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب
وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين
وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القضية ووبخ بقية
الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك الهنة
الواحدة والفلتة الشاذة ردة مالم يكن نقصا وازراء
فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل
ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه
لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه
سفه فلا شئ عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله
انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها
على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف
كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا
عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا

واقلامنا عن ذكره ولولا ما قصدنا نص مسائل حكيناها
لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه
الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط
اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد مالنا ومالكا
قد كنت تسقينا فما بدالكا انزل علينا الغيث لا ابالكا
اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب
الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العود الى مثله قال
ابو سليمان الخطابي وهذا تهور والله منزه عن هذه الامور
وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم
ربه ان يذكر اسمه في كل شئ حتى لا يقول اخزى الله الكلب
وفعل به كذا وكذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر
اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان
جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه
تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر

الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى
وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها
والموفق الله فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى
وملئكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم
حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الاية وقال الله
تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الى قوله
لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملئكته وكتبه
ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن
حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد
الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم او
انتقصه قتل ومن لم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا

ان

ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا
ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي
بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله
وملئكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملئكة قتل
وقال سحنون من شتم ملكا من الملئكة فعليه القتل وفي
النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما
كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل
ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك
لقولهم كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال
ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء
او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن
القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف
انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله
فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملئكة والنبيين او على معين

ممن حققنا كونه من الملئكة والنبيين ممن نص الله عليه في
كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والاجماع القاطع والمشتهر
المتفق عليه كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة والجهنم
والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملئكة
ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان
والحفظة ومنكر ونكير من الملئكة المتفق على قبول الخبر
بها فاما من تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه
من الملئكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملئكة
والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسيه وخالد بن
سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي
يدعي المجوس ويذكر المورخين نبوته فليس الحكم في سابهم
والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة
ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويوذب بقدر حال
المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم
وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملئكة

فان

فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض
في مثل هذا فان عاد اذب ليس اذ لهم الكلام في مثل هذا وقد
كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم
فكيف للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقران او المصحف
او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب
به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح فيه من حكم او
خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك
او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال
الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد ثنا الفقيه ابو الوليد هشام
بن احمد رحمه الله قال ثنا ابو علي قال ثنا ابن عبد البر ثنا ابن
عبد المومن ثنا ابن داسه قال ثنا ابو داود قال ثنا احمد بن
حنبل قال ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال المراء

في القرآن كفر يؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن
عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جحد آية
من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك
ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها
او سبها بكل او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوبة في المصحف
بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب
العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان جميع
ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله
بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه
المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس
من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك
قتل من سب عايشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف
القرآن ومن خالف القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه وقال

ابن

ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما وقاله عبد
الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من
كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد عليه اخر انه قال ان الله
ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد
متفقون ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا
قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا
فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر
به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القرآن فقد
كفر به كله وقال اصبغ ابن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد
كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر
بالله وقد سئل القابسي عن من خاصم يهوديا فحلف له
بالتورية فقال الاخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك

شاهدهم ثم شهد اخرانه سأله عن القضية فقال انما لعنت
توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب
القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى
اليهود ومتمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو
اتفق الشاهدان على لعن التورية مجردة انضاف التاويل وقد
اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين
المصدرين بها مع ابن مجاهد لقرائته واقرائه بشواذ من الحروف
مما ليس في مصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه
سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن
مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه
بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب
فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت
سوء الادب ولم ارد القرآن قاله ابو محمد واما من لعن
المصحف فانه يقتل فصل وسب آل بيته وازواجه واصحابه
عليه السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله ثنا القاضي

الشهيد

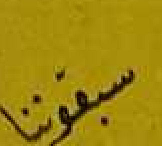
الشهيد ابو علي رح قال ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
العدل قالا ثنا ابو يعلى قال ثنا ابو علي السنجي قال ثنا
ابن محبوب قال ثنا الترمذي قال ثنا محمد بن يحيى قال ثنا
يعقوب بن ابرهيم قال ثنا عبيدة بن ابي رابطة عن عبد
الله بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن
اذى الله يوشك ان يأخذه وقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في اخر
الزمان يسبون فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم
ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم
وعنه عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه وايذاء
النبي حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاني وقال
لا تؤذوني في عايشة وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني
ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب
مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك من شتم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب
وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن
العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم
بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن
حبيب من غلاة الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه اذب
اذبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة
عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا
يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون
من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

عليا

عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي
زيد عن سحنون من قال في ابا بكر وعمر وعثمان وعلي انهم
كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة
بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى عن مالك من سب
ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها
فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد
لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر
ابن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه
المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه في كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون
الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تنزيهها من السوء
وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشة ومعنى
هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان

يسبها سبا لنبيه وقرن سب بنيه واذاه باذاه نع وكان
حكم من ذيه نع القتل كان موذى بنيه كذلك كما قدمناه
وشتم رجل عايشة بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى
العباسى فقال من حضر هذا فقال ابن ابى ليلى انا فجلده ثمانين
وحلق راسه واسلمه الى الحجامين وروى عن عمر بن الخطاب
انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذا شتم المقداد بن
الاسود فكلم فى ذلك فقال دعونى اقطع لسانه حتى
لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وروى ذر الهروى ان عمر بن الخطاب اتى باعرابى يهجوا
الانصار فقال لولا ان له صحبته لكفيتكموه قال مالك
من انتقص احدا من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فليس له فى هذا الفئ حق قد قسم الله الفئ ثلاثة اصناف
فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوءوا الدار
والايمان من قبلهم الاية وهولاء الانصار ثم قال والذين
جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين



سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلاحق له فى المسلمين
وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد منهم انه ابن زانية وامه
مسلمة عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحد الامه ولا اجعله
كقاذف الجماعة فى كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه
السلام من سب اصحابى فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم
وهى كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا
الصحابى حيا ومات ابوه قام بما يجب له والا فمن قام به من
المسلمين كان على الامام قبول قيامه ولو سمعه الامام واشهد
عليه كان ولى القيام به قال ومن سبه غير عايشة من ازواج
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه
سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لسب حليلته والاخر
انها كسائر الصحابة يجلد حد المفترى قال ابن شعبان وبالاول
اقول وروى ابو معصب عن مالك من انتسب الى بيت
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا و
يشهر ويحبس طويلا حتى يظهر توبته لانه استخفاف

بحق الرسول وافتى ابو المطرف الشعبى فقيه مالقة فى رجل
انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت ابى بكر الصديق
ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابى بكر فى مثل هذا يوجب
عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذى صوب
احق باسم الفسق من اسم الفقيه فيتقدم اليه فى ذلك
ويزجر ولا يقبل توبته ولا شهادته وهى جرحة ثابتة
فيه ويبغض فى الله وقال ابن عمران فى رجل قال لو شهد
على ابو بكر الصديق انه كان فى مثل هذا لا يجوز فيه
الشاهد الواحد فلا شئ عليه وان كان اراد غير هذا
فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكروها رواية قال القاضى
ابو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانجزنا الغرض
الذى انتحيناه واستوفى الشرط الذى شرطناه مما ارجو ان
فى كل قسم منه للمريد مقنع وفى كل باب منهج الى بغيته
ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت

فى

فى مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل فى اكثر التصانيف مشرع
واودعته غير ما فصل ووددت لو وجدت من بسط قبلى
الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابا وفيه لاكتفى بما ارويه
والى الله تعالى جزيل الضراعة فى المنة بقبول ما منه لوجهه و
العفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجزيل
كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه
وما اسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله وعملنا فيه خواطرنا
من ابراز خصائصه ووسائل ويحمى اعراضنا عن ناره الموقده
لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يزاد اذا ذيد المبدل عن
حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا
باسبابه وذخيرة نجدها ويجعله لنا يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا
بخصيصى زمرة نبينا وجماعته وان يحشرنا فى الرعيل الاول
واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى
اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه

وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعا لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل
لا يرفع فهو الجواد الذى لا يخيب من امله ولا ينصر من خذله
ولا يرد دعوة القاصدين ولا يعمل عمل المفسدين
وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على
سيدنا ونبينا محمد خاتم
النبيين وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما
كثيراً

تمت الكتاب بعون الله
الملك الوهاب

سنة ١٢٩٥
شهر ١٥
م